

كتاب التوبة

البُيُوتَةُ إِلَى اللَّهِ

وكمفراة الذنوب

الحِجَّةُ الْإِسْلَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ

رواية مختصرة
عبد اللطيف عانور

مختار القراء

للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماماش بالهرساي - بولاق
القاهرة. ت: ٧٦١٥٦٢ - ٧٦١٥٩١

AL-MOS TAFI.COM

كلمة المحقق

كثيراً ما أحلوا — بين أمين والحن — إلى مؤلفات « حجة الإسلام أبي حامد الغزالي » فأجد فيها راحة للقلب ، وسكينة للنفس ، وبخاصة ما يتعلق منها بالمنهجيات .

فلقد قرأت فيما قرأت عن التوبة والتائبين :

« أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به :

هل لي من توبة ؟ »

فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه ، فرأى عينيه

تدرقان !!

فقال له :

« إن للتوبة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه منكراً مؤكداً مؤثماً به لا يملك ، فاعمل ولا تيأس » .

ورأيت « إمامنا الغزالي » يضع التوبة على رأس المنهجيات في كتابه « إحياء علوم الدين » . ويتناول مكفرات الذنوب تناولاً رائداً ويقرئ هذا البحث كتاباً مستغلاً نظراً لأهميته وأثره في عاجل حياتنا وحلها !!

ولست أعطى عليك - أيها القارئ العزيز - أن هذا الكتاب قد شددت ، وملك على جوانب نفسي ، حيث تصدى أبو حامد ، لشرح حقيقة التوبة ، وبيان شروطها ، ومسبباتها ، وعلاقتها ، وغمرها ، والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها لما قد لا نجد مجتمعة في كتاب !

وقلت في نفسي : من منا ليس في حاجة عاجلة إلى مراجعة نفسه ، والإقبال على ربه ، ليتوب إليه توبة نصوحاً ؟ ولكن كيف السبيل !!؟ وأين الطريق إلى ذلك الباب المفتوح .. ؟ باب التوبة ، !!؟

وهنا برزت فكرة إخراج هذا الكتاب .. لماذا لا نعيد للفكر ؟ ولماذا لا نيسره للذكر ؟ ليتوب لكل مسلم طريق التوبة حتى يكون مع الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ورضوا عنه .

وما هوذا بين يديك ، فإن وفقنا فمن الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،،

عبد اللطيف عاشور

أول شعبان ١٤٠٦ هـ

١٠ من أبريل ١٩٨٦ م



دراسة التحقيق

- هذا الكتاب !
- المؤلف .
- عصره .
- مؤلفاته .
- حجة الإسلام العراقي مؤلفاً ومحدثاً .
- منهج التحقيق .

هذا الكتاب

نوع فريد متميز بين غيره من الكتب التي تناولت موضوع التوبة والتائبين ، فلقد كان مؤلفه حدها ، وحقيقتها ، ومسببها الذي به تجلب ، وثمرتها التي منها تستفاد ، وعلامتها التي بها تتعرف ، وفضلها التي لأجلها فيها يرغب ، مع ما ورد فيها من قواعد الشرع داخل .

وقد نجد من صنف في هذه لعالم كتباً ولكن المؤلف — وهو أعلم بما صنف — يقول

يمتاز هذا الكتاب عن تلك الكتب بخمسة أمور :

الأول — حل ما عقده ، وكشف ما أجهله .

الثاني : ترتيب ما بدأه ، ونظم ما فرقاه .

الثالث — إيجاز ما طوله ، وضبط ما قرره .

الرابع — حذف ما كرره ، وإثبات ما حرره .

الخامس — تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً .

ومن أجل هذا كان حرصنا على حسن إعداد هذا الكتاب للنشر وتقديمه لقراءتنا وما هو ذا بين يديك !

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينير لنا طريق التوبة ، وأن يحسنه لنا من أمرنا وشأننا .



المؤلف أبو حامد الغزالي

• ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي في قرية «غزالة» من أعمال «طوس» سنة ٤٥٠ هـ ..

• تنقل في طلب العلم بين «طوس» إلى «جرجان» و«نيسابور» حيث لازم إمام الحرمين الجويني، وصار من أخص تلاميذه.

• لقي الوزير «نظام الملك» بعد موت إمام الحرمين فعرف له مكانته، وأتوله نحو منزل، وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية «ببغداد» بعد أن جرى بينه وبين العلماء مجادلات ومناظرات في عدة مجالس استوجبت إعجاب نظم الملك. وكان يحضر درسه نحو ثلاثمائة من كبار العلماء حيث كانت تشد إليه الرجال.

• ثم ترك الدنيا وزينتها وخرج من بغداد سالماً متصوفاً (عام ٤٨٨ هـ)، وبدأ بالمدح ثم دخل الشام وأقام بها زاهداً، ول عزله ببلاد الشام ألف «كتاب الأحياء» ثم انتقل إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ويقول «ابن خلكان» إنه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمر «يوسف بن تاشفين» صاحب «مراكش» فبلغه فيه، وعندئذ صرف عزمه عن تلك الناحية، وعاد إلى بغداد ثم خراسان.

• درس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة أخرى، ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب درسه مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية.

• قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة إلى أن وافاه الأجل (سنة ٥٠٥ هـ) في مدينة الطبرستان قبة طوس بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وخيراً.



عصر الإمام الغزالي

(١) هو عصر السلاجقة الذين قاموا «سيرة أهل السنة على الشيعة».

(٢) وهو العصر الذي نشط فيه الفلاسفة.

(٣) كما ازدهر العصر بأصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة فلم يكن عجباً ولا غريباً أن يتصدى «حجة الإسلام» الغزالي هؤلاء ولولئك .. بالرد .. والتضيد .. والمناظرة ويعلنها حرباً .. وجهه هجماته وغاراته على جبهات مختلفة كانت وسياته فيها المناظرة والجدل .. تأليف .. والتصنيف ..

مؤلفاته :

لو تصدينا لعدد مؤلفاته وحصرها لوجد أنها تزيد على السبعين مؤلفاً منها ما رأى النور، ومنها ما لا يزال مخطوطة .. من مؤلفاته :

- ١ - تهافت الفلاسفة.
- ٢ - مقاصد الفلاسفة.
- ٣ - عقيدة أهل السنة.
- ٤ - فضائح الباطنية.
- ٥ - فصول الفرق بين الإسلام والزندقة.
- ٦ - تنزيه القرآن عن الطاعن.
- ٧ - الخير المسبوك في تصحيح للشوك.
- ٨ - مكاشفة القلوب.
- ٩ - المنقذ من الضلال.



حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدداً

نستطيع أن نقسم عمل حجة الإسلام ، إنتاجه وتجديده في ناحيتين :
الأولى : نقده الفلسفة ومناقشته لها ، وحججه لعلم الكلام الذي فقد جدته وحياته .

الثانية : « الحجة » على المجتمع الإسلامي المعاصر ، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ، والروح ، والتعالي بالخلفاء .

ويمثل الناحية الثانية كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » ، وقد صنف الغزالي هذا الكتاب ، وقد خرج من بغداد في طلب السعادة واليقين واشتغل بالعبادة والمجاهدة والانقطاع عن الناس . الغزالي إذ ذاك مصلح اجتماعي يخلص جزءاً من كتابه بذيء الغرور يذكر فيه أصناف المقتربين ، و يفرق كل صنف ، ذكر منهم المقتربين من أهل العلم ، و فرقههم ، والمقتربين من المتصوفة ، والمقتربين من أرباب الأموال و فرقههم ، وقد ذكر مناقذ الشيطان ومداخل النفس في هذه الطبقات وأصنافها وذكر من أفكارهم ومزائجهم وعندهم النفسية ما لا يطلع عليها إلا علم كبير من علماء النفس^(١) .

وقد انتقد العلماء والمشتغلين بالعلم في غلوائهم في الإكثار من الجزئيات الفقهية ، والخلافات ، والكلام ، والجدل ، والتملق في العلوم الآلية : كالنحو واللغة ، والشعر والتاريخ ، والاهتمام به .

(١) أبو الأمل الموحدي - حجة الإسلام الغزالي .

١٠- ميزان العمل .

١١- إلهام العوام عن علم الكلام .

١٢- إحياء علوم الدين .

١٣- الوسيط في علم الفقه .

١٤- البسيط في علم الفقه .

١٥- الوجيز في علم الفقه .

١٦- الخلاصة في علم الفقه .

إلى غير ذلك من كتبه التي تصدت لحصرها قوائم الكتب والمخطوطات .



وانتقد الصوفية : بالاكفاء بحفظ أقوال المشايخ وأخبارهم ولا حظ أن هذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها .

فأما علم الطب والحساب والصناعات ، وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع ، فلا يعتقد أصحابها أنهم يتلون المغفرة بها من حيث إنها علوم ، فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع .

ولقد ذكر من التباسات الصوفية ومبالغتهم شيئاً كثيراً يدل على إنصافه وتدقيقه .

وقد ذكر عن المغترين من أرباب الأموال طرائف وحقائق تدل على النظر العميق والفهم الديني الصحيح .

وتجمل لنا ذلك من خلال حديثه عن غرور العامة وطوائف من الأغنياء والفقراء ، مما يحول دون « التوبة » ويعد المسلم عن الصراط المستقيم ويمنح للشيطان أن يستحوذ عليهم وينسبهم ذكر الله ، فيصبحوا من حزبه !! وها هو ذا يفتح باب التوبة لكل هؤلاء وأولئك ليكونوا جميعاً على صراط مستقيم ، طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين . وإذا كان الإمام الغزالي قد حمل الغرور أس المهلكات فقد جعل التوبة على رأس المنجيات .

ويظهر الغزالي مصوراً حاذقاً يتناول بريشته البارعة بجمع عصره فيصور مخالبه وقسمات وجهه ويحسم وقائمه ونجاعيده ويظهر في ذلك كله ذكاءً وسعة اطلاع ، ودقة ملاحظته وبراعة تصويره وسلامة تفكيره .



منهج التحقيق

- قدمت للكتاب ، وعرفت عليه بما يتيح لغيره المسلم معرفة أنواع الذنوب ومكفراتها وبيء له كيف يتوب منها .
- قسمت أركان الكتاب الأربعة إلى فصول ، وبذلك جهدي في اختيار العناوين الملائمة لها ليتسنى الإلمام بها ، والانتفاع بكل ما جاء فيها .
- وضعت على مدخل كل ركن « مرآة » ، يرى فيها القارئ ما تضمنه ذلك الركن من أفكار ونقاط .
- قدمت للقارئ بياناً تفصيلياً بالذنوب التي منها تتوب مع أقسام الناس في الآخرة طبقاً لما تناولته الإمام الغزالي مما يساعد القارئ على الإلمام بالموضوع ، ويثير فيه مزيداً من الشوق إلى استيعابه على الوجه الأكمل .
- أخرجت الكتاب في صورته اللائقة وجملته في متناول الجميع ، ليسهل تداوله ، والاستفادة مما تناولته .
- وها هو ذا ينظم إلى « إخوة له » من ربه حجج الإسلام الغزالي أصلها مكتبة القرآن .
- الزواج الإسلامي السعيد .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .
- أصناف المغرورين .
- بداية الهداية .
- الأذكار والدعوات .



مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يهدى كل خطاب ،
وبحمده يتعمم أهل التعميم في دار الثواب ، وباحمه يتسلى الأشقياء وإن أُرْحِي
دونهم الحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة
وظاهرة من قبله العذاب .

وتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ، ومسبب الأسباب . ونرجوه
رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونخرج الخوف برجائنا مزج من
لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

ونصل على نبيه محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ، صلاة تنقذنا من هول
المطلع يوم العرض والحساب ، ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مأب .

مبدأ طريق السالكين

أما بعد . فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى سائر العيوب وعلام
العيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المرئيين ؛
ومفتاح استقامة الماتلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأينا آدم
عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين . وما أجدر بالأولاد الاقتداء
بالآباء والأجداد ، فلا غرو أن أذنب آدمي واجترم^(٢) فهي شنيئة يعرفها من
أخترم^(٣) ، ومن أشبه أباه فما ظلم ولكن الأب إذا جبر بعدما كسر وعمر بعد
(٢) اجترم : ارتكب قبيحاً وعزماً .

(٣) الشنيئة : الطيبة والعمدة . وهي بكسر الشين الأول والفتحة . وكان أخرم عاقلاً لأنه قدس ،
فوفى أولاده على جدهم فأدموه فقال : إن نبي خرجوني بالنم . و شنيئة أمرها من لئيم : فاصبح
الشطر الثامن من البيت مثلاً يضرب في قرب الشبه : (يجذب صمم الأمتال) .

أن هدم ، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفي والإثبات ، والوجود والعدم
والله قرع آدم سن الندم ، وثبم على ما سئل منه وتقدم . فمن اتخذه قدوة في
الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم . بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة
المقربين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد
الوقوع في الشر ضرورة آدميين . فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك
الديان ، والمتجرد للشر شيطان ، والمتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة
إنسان فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبان ، واصطحب فيه سجتان . وكل
عبد مصحح نسيه إما إلى الملك ، أو إلى آدم ، أو إلى الشيطان . فالتائب قد أقام
البرهان على صحة نسب إلى آدم بملازمة حد الإنسان . والمعتز على الطغيان
مسجل على نفسه بنسب الشيطان .

فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فمفارج عن حيز
الإمكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنناً محكماً ، لا يخلصه إلا
إحدى الثارين ، نار الندم أو نار جهنم . فالإحراق بالنار ضروري في تخليص
جوهر الإنسان من عباث الشيطان ، وإليك الآن اختيار أهون الثارين ،
والمبادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار
الاضطرار ، إما إلى الجنة وإما إلى النار !!





تمهيد

إذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع ، وجب تقديمها في صدر ربح للنجيات بشرح حقيقتها ، وشروطها ، وسببها ، وعلامتها ، وثمرتها ؛ والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها . ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان :

الركن الأول : في نفس التوبة ، وبيان حدها ، وحقيقتها ، وأنها واجبة على الفور ، وعلى جميع الأشخاص ، وفي جميع الأحوال ، وأنها إذا صحت كانت مقبولة .

الركن الثاني : فيما عدا التوبة ، وهو الذنوب ، وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر ، وما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحق الله تعالى ، وبيان كيفية توزيع الدرجات والدركات على الحسنات^(١) والسيئات ، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر .

الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها ، وكيفية تدارك ما مضى من الظالم ، وكيفية تكفير الذنوب ، وبيان أقسام التائب في دوام التوبة .

الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة ، وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين وهم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل .

(١) لأهل الجنة درجات على الحسنات . كما أن لأهل النار درجات على السيئات وقد جاء القرآن بهذا ﴿ إن المظالم في الدرك الأسفل من النار ﴾ . ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

الركن الأول

في نفس التوبة

- بيان حقيقة التوبة وحدها .
- بيان وجوب التوبة وفضلها .
- بيان أن التوبة واجبة على الفور .
- بيان أن التوبة واجبة على جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال .
- بيان أن التوبة إذا استجمعت شروطها فهي مقبولة لا محالة !!



الفصل الأول

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يتنظم ويقتضيه من ثلاثة أمور مرتبة : علم ، وحال ، وفعل . فالعلم الأول ، والحال الثاني ، والفعل الثالث ، والأول موجب للثاني ، والثاني موجب للثالث إيجاباً يقتضيه الله في الملك والملكوت .

أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب . كونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب . فإذا عرف ذلك معرفة محقة . يسر غالب على قلبه ، ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب . فإن قلباً مهما شعر بفوات محبوبه تألم . فإن كان قوته بقوله تأسف على الفعل المنقوت ، فيسمى تألمه بسبب فعله المنقوت محبوبه ندماً . فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى ، انبعث بالحال ، وبالماضي ، وبالاستقبال . أما تعلقه بالحال ، مستترك للذنوب الذي كان ملازماً . وأما بالاستقبال ، فبالعزم على ترك الذنوب لئلا يعود للمحسوب إلى آخر العمر . وأما بالماضي ، فيتلافى ما فات بالخير والقضاء ، إن كان قابلاً للخير فالعلم هو الأول . وهو مطلع هذه الخيرات . وأبغى بها العلم الإيمان واليقين . فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب ستور مهلكة ، واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق ، وانتفاء الشك عنه ، واستيلاءه على القلب ، فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم . فيتم ما القلب حيث يصير بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه ، كس بشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة ، فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب ، أو انقصار حجاب ، فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك ، فتشعل نيران الحب في قلبه ، وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للنداء .

معها وسدده، واعتد استغفر بالشرك في الحان والاستقبال. والثاني
سبغ، ثلاثه مع - مرتبة في الحصول، فيطلق اسم التوبة على مجموعها
وكثيراً ما يفسر سه اسم على معنى للدم وحده، ويجعل العلم كالسائق
والصدمه، والشرك كاشرة والتابع المتأخر. وهذا الاعتبار قال عليه الصلاة
وسلام: "الندم ثوبه" يد لا يخلو الندم عن علم أوجه وأثره، وعن عزم
بعمه ويسود. فيكون الدم محصوراً بطريقه، أعني ثمرته ومشمره. وهذا الاعتبار
قيل في حديث التوبة أنه: ذوبان الحشا لما سبق من الخطاه. فإن هذا يترحم
عزود الأم. وسبغ قيل هو دار في القلب تنهيب، وصدع في الكبد
لا يشعب^(٥) وباعتد معنى الشرك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء
ويشرب بساط الوفاء. وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة تبديل الحركات
المدمومة بالحركات المضمومة. ولا يتم ذلك إلا بالخبرة، والصمت، وأكل
الخلل. وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من توبة

والأقوال في حدود التوبة لا تنحصر. وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة،
وتلازمها وترتبطها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع
معانيها. وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ عرده



(٥) حديث الدم بوبه: من دمه وإن حياك والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن
حبان وذكره من حديث أبيه وقال صحيح على شرط الشيخين
(٦) عريجه (٧) الصدع الشق، والانشجاب، الانكشاف



المفصل الثاني

بيان وجوب التوبة وفضلها

أعم أن وجوب التوبة صاهر للأحاديث والآيات، وهو واضح من
الصورة عند من اعلم بخصايصه، وشرح له سر الإيمان صوره حتى أهدى
عن أن يسمى سورة الذي من يديه في طمس جهل، معباً عن ذلك بمؤداه
في كل حصوه. فسلالت إم أعمى لا يستغنى عن فائدة في حصوه، وبما شير
يهدى إلى نور. بصرة ثم يهدى نفسه. وكذا في سر في صديق من
يتسمون حد الانقسام من قاصر لا يقف عن محبة نفسه في حصوه،
يفقر إلى أن يسمع في كل دمه صاعاً من كدبته نوسة رسوبه، وبما يحوره
ذلك فيتحور. فسور هذا وإن طال عمره وعبد جده مختصر، وخطاه قاصره.
ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام، فهو عن نور من ربه، فبنته بأدنى
إشارة لسلوك طريق معوضة، وقطع عقبات متعبة. ويشرق في قلبه نور القرآن
ونور الإيمان. وهو لشدة نور باطنه يخرجه نوره، فكأنه يكاد يضيء،
ولو لم تمشته نار. فإذا مشته نأز فهو نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء
وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة.

(٨) حديث الأخبار العامة على وجوب التوبة: مسلم من حديث الأخر الذي ياب الناس توبوا إلى الله
الحديث: ولأين دمه من حديث جابر ياب الناس توبوا إلى ربكم قيل أن توبوا - الحديث: وسنة
صحيح

ماذا يفعل من أراد أن يعرف وجوب التوبة ؟

فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة ، فليطوّل أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ، ثم إلى الوجوب . معناه : ثم يسمع بين معنى الوجوب والتوبة . فلا يشتك في ثبوته . ذلك بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد ، والنجاة من هلاك الأبد ، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه ، لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى . وقول القائل صواب واجب بالإيجاب حديث محض . فإن ما لا غرض لنا أجلاً وعاجلاً في فعله وتركه ، فلا معنى لاشتغاله به أو جبهه عليها غيرنا أو لم يوجهه . فإدراك عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في عزة الله تعالى . وأن كل محبوب عنه يشتكى لا محالة ، يحول بينه وبين ما يشتهي ، يخترق بند القرب . الصحيح وعدم أنه لا مبعث عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات . لأن الله تعالى . ولا كتاب على حب ما لا بد من فراقه قطراً ، وعلم أنه لا قرب من عزة الله ، لا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم ، والإقبال بالكلية على الله تعالى . لأن الله تعالى . وللمسحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته .

لزوم التوبة للعبد

وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله ، واتباع خباب الشياطين أعداء الله المبشرين عن حضرته ، سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى . فلا يشتك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب . وإنما يتم الانصراف بالعلم ، والدم ، والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن

المحبوب لم يدم ، ولم يتوجه بسبب صنوفه في طريق العبد . وما لم يتوجه فلا يرجع . ومعنى الرجوع الترتب والتميز فلا يست في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب . وهكذا يكون الإقبال الحاصل عن نور البصيرة . وأن من لم يترشح مثل هذا انقضاء المرتجع دروته في حلول أكثر الحلول ، فهي والاتباع له مجال رتب ، يتوصل به إلى السعادة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله ، وقول رسوله . « قُلْ لِلَّهِ الْعِصَابُ » . فقد قال الله تعالى ﴿ وَتَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) وهذا أمر على العموم . وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾ (٢) الآية . ومعنى النصح حاله لله تعالى حالاً عن شوائب مأخوذ من النصح . ويدل على معنى التوبة قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣) وقيل عليه السلام : « الثالث حب الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له » .

فرح الله بتوبة العبد

وقال رسول الله ﷺ (١) : « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من دخل نزل في أرضه فؤوة مهلكة » (٢) معناه زاحلته عنها طعانه وشرائه فوضع رأسه فقام

(١) (٩) البقرة ٢٢٢

(٢) (١٠) البقرة ٢٢٢

(١١) حديث الثالث حب الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له : ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالخط الثاني دون الأول وإنما الخط الأول مروى في غير الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب القرب من حديث أنس بن مسعود « إن الله يحب المتطهرين » ولعل الله في أحمد في زواجر المستند وأبو يعلى بن مسعود من حديث علي « إن الله يحب العبد المؤمن يغفر له » .

(١٢) حديث في الفرح بموت المؤمن من وجعل يده في أرضه فؤوة مهلكة - الحديث . معناه عليه من حديث ابن مسعود وأنس بن مالك من حديث أنس لم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبي وأنا ربك أعطيت من شدة الفرح ورواه مسلم بطون هذه الزيادة من حديث الثعلبي بن بشر ومن حديث أبي هريرة مختصراً .

(١٣) سورة الفاتحة ، والفاتحة الخامسة .

نَزَمَهُ فَاسْتَقْبَلَ وَقَدْ دَهَتْ رَاحِلَتُهُ فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقْبَلَ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْمَطَرُ
أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَائِي الَّذِي تَخُتُّ فِيهِ فَأَنَا مَوْثٌ قَوْضَعٌ
رَأْسُهُ عِنْدِي سَاعِدُهُ لِمَوْتٍ فَاسْتَقْبَلَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْهَا زَاذَةٌ وَضَرَابَةٌ فَاللَّهُ
تَعَالَى أَشَدُّ قَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا يَرَا جَلِيلِهِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَمْثَلِ قَرِ
مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ ، إِذَا أَرَادَ شُكْرَ اللَّهِ ، أَنَا رَبُّكَ وَأَنْتَ عَبْدِي

ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام : هاتته
الملائكة . وهبط عليه جبريل وميكائيل عندهما السلام . فقالا يا آدم قرت عليك بتوبة
الله عليك . فقال آدم عليه السلام : يا جبريل ، من كان بعد هذه التوبة سؤال
فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه يا آدم ، ورثت ذريتك التعب والعصب ، وورثتهم
التوبة . فمن دعاى منهم ليت كما ليث ، ومن سألتى المعفرة لم تأكل عليه ، لأن
قريب مجيب يا آدم ، وأحشر الثائنين من القبور مستبشرين صاحكين ،
ودعائهم مستجاب . والأخير والآخ في ذلك لا تحصى ، والإجماع معقد من
الأمّة عن وجوبها ، إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من
الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ، ولكن قد تدهش الخلة عنه فمعنى
هذا العلم إزالة هذه المعلقة ، ولا خلاف في وجوبها .

ومن معانيها ترك المعاصي في الحال ، والتمس على تركها في الاستقبال ،
وتبارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال ، وذلك لا يشك في وجوبه وأما
الندم على ما سبق ، وسحره عليه . فوجب وهو روح التوبة ، وهو تمام
التلاقي فكيف لا يكون وحياً ! بل هو نوع أم يحصل لا محالة ، عقب حقيقة
المعرفة بما فات من العمر وصاح ، في سخط الله

فمن قلب : نادم ندم أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار ، فكيف
يوصف بالوجوب ؟

فدعنا أن سبه تحقيق العلم بدوام المحبوب وأنه سبيل إلى تحصيل منه
ومثل هذا المعنى دخل العلم بحب وجوب ، لا معنى أن العلم بحب الله

ووجدته في نفسه . فإن ذلك محال . بل حب الله ، وحب الله ، وحب الله .
والقدرة : والقاهرة : الكل من حب الله وحب الله وحب الله خلقكم وما
تعملون ؟^(١) هذا هو الحق عند قوى بصائر ومسيرى هه صلا

بحث في أفضل العبد وهل له اختيار

فمن قلب : فليس للعبد اختيار . بل جعل والحرية . فله معه وودع
لا ياقص قوما إن الكل من حب الله تعالى بل الأحب أيضاً من حب الله
والعبد مضطر في الاختيار الذي به فإنه لا بد من الله الصحيحة ، وحق
العدم السبيل ، وحب الشهوة منعه في هذه ، وحب العلم في حب الله
العلم يسكن الشهوة ، وحب حواصير المعرفة في أن هذا العلم هل فيه
مصرة مع أنه يسكن الشهوة ، وهل دون ما يمنع يعبر معه تأويله ثم لا ، ثم
حق العلم بأنه لا مانع ، ثم عند اجتماع هذه الأسباب سحر لإرادة الدعوى على
النول فاعرف الإرادة بعد تردد التماس المتعارضة وبعد وقوع الشهوة
لنظم يسمى اختياراً ، ولا بد من حصة عند عدم أسفه فإذا حصل حرام
الإرادة يخلق الله تعالى يده ، تحرك الله صحيحه في جهة التمام لا محالة
إذ بعد تمام الإرادة والقدرة ، يكون حصول الفعل ضرورياً فتحصل الحركة ،
فيكون الحركة بحق الله بعد حصول القدرة والحرية ، وهما أيضاً من
حق الله . وجزم الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم التوامع ،
وهما أيضاً من حق الله تعالى . ولكن بعض هذه محمولات يترتب على البعض
تربياً حررت به مية الله تعالى في خلقه . من بعد سنة الله تدبيراً . فلا يحسن الله
حركة اليد بكتابة معقومة ما لم يخلق فيه صفة تسمى قبرة ، وما لم يخلق فيه
حياة ، وما لم يخلق لإرادة مجزومة . ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة

(١٥) الصفات : ٩٦

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى
ترجع إلى حركته ويزدهر وعلم والميل الطبيعي أبداً يستمع الإرادة
الجارية، والقدرة والإرادة أبداً سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.
عندئذ يجب تقديم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١١) وعبر القضاء الكللى الأربى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(١٢) وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة شخصية في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة.

(١٧) القاموس ٤٩

7A

[illegible][illegible]

وَعَلِمَ أَن جَمْعَهُ مِنَ الْمَعْبُودِينَ لَمْ يَأْتِ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

٧ الأضواء

من مشاهدته ومعرفة بالفضل الذي تقدر عليه، فمعرفة فسادنا وفسادنا إلى
 سرور مودع به نفس جسد عن رغبة وودع به بعصبه على نابه، وودع به
 بعصبه على أذنه فودع به عروقه فودع به عروق فودع به عصبه
 وحسب أخوته فودع به من راحل إلى من راحل إلا من سجد به
 حبه صهر، إلا أنه ليس من راحل إلى من راحل من راحل إلى من راحل
 هو صلب لا من فيه، وأمس لا حسبه فيه، وليس في عطف لأصوبه
 فساد، بل هو من عود وودع به من راحل إلى من راحل وودع به
 حسبه فصدق أحدهم فيه ولكن من راحل إلى من راحل ولا هو من
 مصوبه، بل هو من راحل إلى من راحل فصدق أحدهم فيه ولكن من راحل إلى من راحل
 وجه، إذ أخير كل واحد عما أصابه من معرفة غير، وهو حرج واحد في حبه
 عن وصف الغير، ولكنه حبه فصره عن إحصائه كنهه صيرة عن
 اختصار هذا المثال وعبر به، فيه من آثاره حبه من فيه وودع به
 هذا كلاماً يسلط علوم المكاشفة ويحرث أرواحاً، من حيث من عرف

وجوب التوبة بجميع أجزائها

فليرجع إلى ما كنا بصدده وهو بلاد أد التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة،
 العبد، والدم، والترك، وأن الله دحل في الوجوب، كونه واقفاً في جهة
 أعمال الله المحصورة بين علم العبد، وأدته، وقدرته المتحللة بها، وما هذا
 وضعه فاسم الوجوب يشملها.



الفصل الثالث

بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستتاب فيه، إذ معرفة كون المعاصي مهلكات
 من نفس الإيمان، وهو واجب على الفور، وامتنع عن وجوبه هو الذي عرفه
 معرفة زجره ذلك عن العمل المكروه. فإن هذه المعرفة ليست من علوم
 المكاشفات التي لا تنطق بعمل، بل هي من علوم المعاملة. وكل علم يراد
 ليكون باعثاً على عمل فلا يقع لتقصي عن عهده ما لم يصر باعثاً عليه. فالعلم
 بضرر الذنوب إما أن يريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو باقيد لها
 اجرة من الإيمان. وهو أراد بقوله عليه السلام (١) "لا يؤمن الزاني حين
 يزني وهو مؤمن" وما أراد به نفس الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة،
 كاحسب بالله ووحديته، بصحته، وكنهه، ورسمه، فربما لا يفهم تركها
 والمعاصي. وإنما أراد به نفس الإيمان لكونها مبعداً عن الله تعالى. موجياً
 لست. كما إذا قال الطبيب: هذا سم فلا تتلوه فإذا تناولته يقال تناول وهو
 غير مؤمن، لا معنى أنه غير مؤمن بوجوده حسب، وكونه صيباً وغير مصدق
 به. بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك. فإن العالم بالسم لا يتناول
 أصلاً. فالمعاصي بضروره باقصة الإيمان. وأمس الإيمان به واحد، بل هو
 سب وسبعون باباً، أعلاها شهادة لا إله إلا الله، وأدناها إمامه الأدنى عن
 الصريح. ومثاله قول القائل: ليس إلا بيسن موجداً واحداً، بل هو نيف
 وسبعون موجداً، أعلاها القلب والروح وأدناها إمالة الأذى عن البشرية،
 بأن يكون مقصود الشارب، مقلوم الأضفار، نفس البشرية من الخبث، حتى

(٢٠) حديث لا يؤمن الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة

يسمى عن اليهائم مرساة الموت بآرائها المسكنة الصو بطور محالها
وأظلامها

وهذا مثال مضائق الإيمان كالإيمان وفقدان شهادة التوحيد يوجب
البطلان بالكلية كفقده الروح ، والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو
كإنسان مقطوع الأطراف مفقود العينين ، فاقد لجميع أعضائه الباهنة
والطاهرة ، لا أصل الروح . وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت ، فترايله
الروح الصحيمة ، المنفردة ، التي تخلف عنها الأعضاء التي عدها وتقويها ،
فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان ، وهو مقصر في الأعمال ، قريب من أن
تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة ، الحركة للإيمان في مقدمة قدوم
موت الموت ووروده . فكأن إيمان لم يثبت في اليقين أصله ، ولم تنتشر في
الأعمال مروه ، لم يثبت على عواصف الأحوال عند ظهور ناحية ملك
الموت ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، لا ما يستقى بالطاعات على توالي الأيام
والساعات ، حتى وسخ وثبت . وقول العاصي للمطيع : إني مؤمن كما أنت
مؤمن ، كقول شجرة القرع لشجرة الصوبير أو شجرة وأنت شجرة
وما حسن جواب شجرة الصوبير إذ قالت : ستعرفين غترارك بشمول الاسم
إذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع أصولك ، وتنتثر أوراقك ،
وتتكشف غرورك بالمشاركة في أسم الشجرة مع العدة عن أسباب ثبوت
الأشجار

وسوف ترى إذا انجلي الغبار - أفرسك لعتك أم جمار
وهذا أمر يظهر عند الخاتمة . وإنما تنقطع لياط العابدين خوفاً من دواعي الموت
ومقدماته الخائفة ، التي لا يثبت عليها إلا الأقلين . بالعاصي إذا كان لا يخاف
الموت في الغار بسبب مصيته ، كالصحيح المنهك من الشهوات المصرة إذا كان
لا يخاف الموت بسبب صحته . وإن الموت غالباً لا يقع فجأة ، فيقال له :
الصحيح يخاف المرض ، ثم إذا مرض يخاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء



لخدمة ، ثم يد حتم به بالسوء والحدود لله سبحانه في النار فالعاصي بالإيمان
كأماكولات المنصبة بالأيدي ، فلا تزال حية في الدار حتى تغير مرجح الأحوال
وهو لا يشعر بها ، إلى أن يفسد المرجح . يفسد دونه ، ثم يموت دفعه . وكذلك
العاصي فإذا كان الخائف من الهلاك هذه الدنيا قصبة عابثة
السموم ، وما يصور من المأكولات في كل من يعنى العور ، فالحال من هلاك الأبد
أولى بأن يجب عليه . وإذا كان متجاوزاً الله إذا ندم يجب عليه أن يتقياً ، ويرجع
عن تكملة بإبطاله وإخراجه عن المعتمد . من سبيل العور والقيادة ، ثلاثاً يهتد
استرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذا . سبب العدة ، فتتأول محرم الدين وهي
الدنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عن حلتك المسمى ، ما دام يبقى للتدراك
مهلة وهو العمر ، فإن اغترب من هذه . قوب الأجرة الباقية ، التي قد سعي
المقيم ، والملك العظيم ، وفي عر ٢٠٠ حجيم ، وعذاب المقم الذي نصير
أضعاف أعمار الدين دون عشر عشر . يد يس منه حر أئنته هاليس
للبدن إلى القوة ، قبل أن تعمل مجموع الموت بروح الإيمان عملاً يحوز الأمر فيه
الأطباء واختيارهم ، ولا يقع بعده الامتناء ، فلا يندفع بعد ذلك نصيح
الناصحين ، ويعطى الرغبتين ، وتمنح الكب عليه بأنه من الهالكين ، ويدخل تحت
عموه قوة تدعى إنا جعلنا في أديهم أعلا لا يهي إلى الأدفان لهم
مُفْتَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا فَأَعْتَبْتَهُمْ فهُمْ لَا
يَعْتَرُونَ وَسَاءَ عَذَابُهُمْ الَّذِينَ هُمْ أَمْ كَمْ نَدْرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ولا يعرف
نعت الإيمان فتقرب المراد بآية الكرم . يد يد أن إيمان صعب وسعود
بأباً ، وأن الزاني لا يرى حيث يرى وهو يؤمن . فالحجوب عن الإيمان الذي هو
شعب وفروع صحيح في الخاتمة عن إيمان الذي هو أصل . كما أن الشخص
المعاند لجميع الأطراف التي هي حروب وفروع ، مسبق إلى الموت ، المعلم
للروح التي هي أصل ، فلا بناء للأمر دون المزمع ، ولا وجود للفرع دون

(٢) بس ٩٠٨

الفصل ١٠

، أن وجوب لتوبة عام ولأن حوطك فيه ينفك عنه أحد البتة

قد قد عر ٥٠٠ إذ قد تدعى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
مُكْمٌ تُفْتَحُونَ﴾ . سبب الخوف . وبور البصيرة أيضاً
وهو الرجوع عن الذي سجد عن لك ، مغرب من

لا من عاقب ، ولا تدعى عر ٥٠٠ عر ٥٠٠ لا بعد كان عر ٥٠٠
سائر انصدت المدد . التي هي رسائل الشيعات إلى
أن العقل إما يكون من مغاربه لأرباب . وأصده بمديته
، وسدديه تظهر به سبع سنين . والشهوات محمود
جنود الملائكة . فإذا جمع قام القتال بينهما بالضرورة ،
لأنهم لأتباعها ضلوك . التطارد بينهما كالتطارد بين الليل
بلحمة . ومهما علب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة . وإذا
أمل في الصبا والشهوات قبل كمال العمل ، فقد سبق جند
على المكابح ، ووقى للقلب به أنس ، وألف لاهلته
بالعده . وغيب قلبه عنه ، ويحسر عليه الروح عنه . ثم
و حرب الله وجنته . وبعد أولياته من أيدي أعدائه شيء
فإن لم يبق ولم يحسب . سلبت ملكه القلب للشيطان ،

الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد ، وهو أن وجود الفرع
وبقاءه جميعاً يستدعي وجود الأصل ، وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود
فرع معه الأصل بالفرع ، ووجود الفرع بالأصل ، فعلوم المكاشفة وعلوم
المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل ، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وإن
كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة السطح ، وعموم المصنف إذ لم يكن
باعثاً على العمل فعدمها غير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي نرد
له . قامت مؤيدة للحجة على صاحبها . ولذلك يزداد في عذاب العالم الفاجر على
عذاب الجاهل الفاجر . كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم



الفصل الثاني

بيان أن وجوب التوبة عام

في الأشخاص والأحوال فإن ينفك عنه أحد البتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على أن التوبة واجب على كل من توب إلى الله
جميعاً أيها المؤمنون لعنكم أنفسكم كما أن الله سبحانه وتعالى هو الصيرة
يرشد إليه ، معنى التوبة يرجع عن ذنوبه من الله ، فرب
شيء .

ولا يتصور ذلك إلا من عرف ، ولا تبت عليه غيره ، ولا تبت عليه غيره
الشهوة ، والغصب وسائر الشهوات المندبة إلى هي وسائل شيطان إلى
إغواء الإنسان ، إذ كان العقل إما يكون ما يدرسه لأربعين رأسه في يوم
عند مراقبة البلوغ ، ومبادئه نصير . سبع سنين ، وسهوات وجود
الشيطان ، والعقول جنود الملائكة ، فإذا جسد قام القلب بينهما بالضرورة ،
إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأحدهما ضيقان ، وانتظار بينهما كالتصديق بين الليل
والنهار ، والنور والظلمة . ومهما علي أحدهم أروع الآخر بالضرورة . وإذا
كانت الشهوات تكمّل في القضا والشبهات في كمال العجز ، فقد سبق جد
الشيطان ، واستولى على المكان ، ووقع القلب به أسيراً ، وألف لاهلته
مقصبات شهوات بالعدة . وعب ذلك به ، ويعبر عنه الروح عنه ثم
يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنته . ومنقذ أولياته من أيدي أعدائه شيء
مشيقاً على التدرج ، فإن لم يفكر ولم يكن . سمع منك عند لشيطان .

وأمر اللعين موعده حيث قال ﴿لَا تُجِيبُنَّ دُعَاةَ قَوْمِكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وإن كسر العقل وقوى، كان أول شعله قمع حدود الشيطان بكسر جهوت، ومعرفة العادات، ورد الصبح على سبب انقراض البعدت. ولا معنى حسنة لا هذا، وهو الرجوع عن طريق، دسه الشهوة، وحتمه شيطان، إن صريق الله تعالى وليس في موجود آدمي إلا وسهونه سابقة عن نفسه، وشريرته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملاذثة، فكأن رجوع عبد سبق إليه على مساعدة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان، نبياً كان أو عبداً، فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام. وقد قيل.

فلا تحسبن هنداً لها العذر أحد **مسحاة** نفس كل غانية هند

بل هو حكم أزل مكتوب على جنس الإسم، لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها. مرد كل من بلغ كافراً جاهلاً معية التوبة من جهله وكفره. فإذا بلغ مسلماً تبعاً لأبيه، غافلاً عن حقيقة إسلامه، فعليه التوبة من غفلته بفهم معنى الإسلام، فإنه لا يغني عنه إسلام أبيه شيئاً ما لم يسلم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عاداته وإلمه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف، بالرجوع إلى نسب حدود الله في المنع والإصلاح، والامتناع، والاسترسال، وهو من أشق أبواب التوبة، وفيه هلك الأكثرين، إذ عجزوا عنه. وكل هذا رجوع وتوبة.

فدل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص، لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر، كما لم يستغن آدم. فخلقته الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقه الولد أصلاً.

وأما بيان وجوبها على الدوام، وفي كل حال، فهو أن كل بشر فلا يخلو من معصية يجول روحه. إذ لم يخل عنه الأنبياء، كما ورد في القرآن والأخبار من

خطايا الأنبياء، وتوبتهم، وبكائهم على خطاياهم. فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الغم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الغم، فلا يخلو عن وسوس الشيطان بإيراد الخواطر المشرقة المذهلة عن ذكر الله. فإن خلا عنه، فلا يخلو عن غفلة وقصور في الغم بالله، وصغاته، وأفعده وكل ذلك نقص. وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده، والمراد بالتوبة الرجوع. ولا يتصور الخلو في حق آدمي من هذا النقص، وإنما يتفاوتون في المقدار. فأما الأصل فلا بد منه. ولما قال عليه السلام: **«إِنَّ اللَّهَ يَنْفَخُ عَلَى قَلْبِي حَقِّي»** أستغفر الله في اليوم والليلة متعين مرة، أحسن. ولذلك كرمه الله تعالى بأن قال ﴿يَجْعَلْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْلَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَتُغْفِرُ لَكَ﴾ **«وَمَا كَانَ هَذَا مِنْ عَمَلٍ**

مكيف حال غيره؟

فإن قلت: لا يخفى أن ما يقرأ على القلب من لحوم والخواطر نقص، وأن الكمال في الخبر عنه، وأن القصور عن معرفة حال الله نقص، وأنه كلما اردادت المعرفة زاد الكمال، وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع، والرجوع توبة، ولكن هذه فصائل لا تراعى، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة، إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع. فما المراد بقولك لتوبة واجبة في كل حال؟

فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلاً. وليس معنى التوبة تركها قطعاً، بل كنهه توبة بتدارك ما مضى. وكل شهوة اتبعها الإنسان لارتفع منها ظلمة إلى قلبه، كما يرتفع عن نفس الإنسان ضمة إلى وجه المرأة الصقيلة. فإن تراكمت ضمة الشهوات صار رباً، كما

(٢٤) حديث أنه لعن على النبي استغفر الله في اليوم والليلة سبع مرة : مسلم من حديث الأعرابي إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكلما عد أن يوفى بالخطيئة من حيث أتى فرمى إلى الاستغفار في اليوم أكثر من سبع مرة وفي رواية البخاري في الشعب سبع لم يزل يمر وتقدم في الأذكار والدعوات.

في صير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه غيباً، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٧) فإذا تراكم الرين صار طبعاً (٢٨)، فيطبع على قلبه، كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه، غاص في جرم الحديد وأفسده، وصار لا يقبل الصقل بعده، وصار كالمنطوق من الخشب. ولا يكفى في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل، بل لا بد من محو تلك الأرياف التي انطبعت في القلب. كما لا يكفى في ظهور الصور في المرأة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل، ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأرياف. وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات، فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتضحى ظلمة انصبة بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام (٢٩): «أبج السينة الخمسة تنفحها».

فإذا لم يستغنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السينات عن قلبه، بمباشرة حسنات تصاد آثارها آثار السينات هذا في قلب حصل أولاً صفاته وجلالته، ثم أنظم بأسباب عارضة.

فأما التصقل الأول ففيه يطول الصقل، إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصلابة عن المرأة كمشغله في عمل أصل المرأة. فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً. وكل ذلك يرجع إلى التوبة.

فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجباً، بل هو فضل وطلب كمال، فاعلم أن الواجب له معنيان أحدهما: ما يدخل في خوى الشرع، ويشترك فيه كافة الخلق، وهو القدر الذي لو اشتمل به كافة الخلق لم يخرّب العالم، فلو كلف الناس كلهم أن يحقوا الله حق ثقافته لتركوا المعاش، ورفضوا الدنيا بالكفة. ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية، فإنه مهما فسدت المعاش لم يفرغ

(٢٦) انظر ص ١٤٠

(٢٧) الطبع: نظم، والرؤى تحت الوسخ.
(٢٨) حديث أبي السيرة الحسنة لهما: الترمذي من حديث أن طر زيادة في قوله وآخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رتبة النفس.

يحد للتقوى بل شغل احبائه، والحرقة، والخير يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه الدرجات يستتوي بها الاعتبار.

والواجب الثاني: هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين، والمقام المحمود بين الصديقين. والسير من جميع ما ذكرناه واجبه في الوصول إليه. كما يقال الطهارة واجبة في صلاة الطلوع، أي لمن يريد بها، فيه لا يحصل إليها إلا بها. فأما من رضى بالفساد والحرمان عن فصل صلاة النصوص، فالطهارة يستوي عنه لأجله كما يقال العين، والأذن، واليد، والرجل، شرط في وجود الإنسان. يرضى أن شرط لمن يريد أن يكون إنساناً كاملاً ينتفع بإنسانيته، ويحصل بها إلى درجات العلا في الدنيا. فأما من قبح بأصل الحياة، ورضى أن يكون كالحم على راس (٣٠)، وكخزلة مطروحة. فليس يشترط من هذه أحواله، ويد، ورجل، فأصل الواجبات الداخلة في تقوى العامة لا يحصل إلا إلى أصل السجدة. فأصل النجاة كأصل الحياة، وما وراء أصل السجدة من السعادات التي بها تنقضي حياة، يجرى مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنبأ الحياة، وفيه معنى الأتيف والأولياء والعلماء والأمثل فالأمر، وعليه كان حرصهم، وحواله كان عند فهم، ولأجله كان رفضهم ملاذ الدنيا بالكلية، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجراً في ساه، فجاء إليه الشيطان وقال: أما كنت تحركت الدنيا للأخرة؟ فقال نعم وما الذي حدث؟ فقال توسدك لهذا الحجر تنصرف الدنيا، فلم لا ترفع رأسك عن الأرض؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر، ووضع رأسه على الأرض وكان ربه يحجر توبه عن ذلك السعد. فمرمى عيسى عليه السلام به بعد أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجباً متناوياً العامة؟

أفترى أن نبياً محمداً ﷺ لما شغلته الثوب الذي كان عليه علم (٣١) في

(٢٩) الوضوء: خشية البحر التي يطغى التبع فلهذا والفرقة أمة يملك من أمر نفسه شيئاً (٣٠) حديث لزعة كذا الذي كان عليه في الصلاة: تقدم في الصلاة أهد (٣١) علم الثوب: رسته ورقته

صلاته حتى نزعه^(٣٢)، وشعبه شيراك^(٣٣) نعله الذي جلده حتى أعاد الشرايين الخلق، لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكفة عباده؟ إذ علم ذلك فلم تلب عنه بتركه؟ وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثراً في قلبه أثراً يحميه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به؟

أخبرني أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب الخمر، وعلم أنه على غير وجهه، أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه، حتى كاد يخرج معه روحه، ما علم من العنة هذا القدر، وهو أن ما أكله عن جهل فهو عمر آثم به، ولا يجب في تنوي العنة إخراجها فلم تلب عنه شربه بالتدارك على حسب إمكانه بتجلية العنة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره، عرفه ذلك السر أن تنوي العنة حديث آخر، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرف إلا الصديقون؟

فأتمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف بحق الله بالله، وبطريق الله، وبمكر الله، وبممكن الغرور بالله. وإياك مرة واحدة أن تترك الحياة لندبا، وإياك لم إياك ألف مرة أن يترك بالله الغرور^(٣٤). فهذه أسرار من استنشق مبادئ روائعها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه، ولو همز غمز نوح، وأن ذلك واجب على العبد من غير مهلة. ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال: لو لم يك العبد ساء بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة، وكان خليفاً أن يخرجه ذلك إلى الممات. فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله! وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة: وصاعت منه بغير فائدة، بكى عليها لا بحالة. وإن ضاعت منه وصار ضايعها سبب هلاكه، كان بكاؤه منها أشد. وكل ساعة من العمر، بل كل نفس جوهرة نفيسة، لا تحلب لها، ولا يبدل بها، فإنها صالحة لأي توصلك إلى سعادة الأبد، وتفقدك من شقاوة الأبد. وأي جواهر أنفس من هذا؟ فإذا صيغتها في الغفلة، فقد

(٣٢) حديث نزعه الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق: تقدم في الصلاة أيضاً.

(٣٣) شراك المل: سوء العمل من طهر القدم.

(٣٤) الغرور: بفتح الغين - الشيطان.

حسرت حمران نبيئاً وإن صرفتها إلى معصية، قد هلكت هلاكاً وحشاً. ومن كنت لا تيكى على هذه معصية، فذلك حيثك ومصيبك بجهلك أعظم. من كل معصية، لكن الجهل بمعصية لا يعرف المصائب بما أنه صاحب معصية. من نوم العلة يحول به وبين معرفته، والناس نيام، فإذا ماتوا لم يجدوا. بعد ذلك يكشف لكل مفلس إفلاسه. ولكل مصاب معصيته. وقد رفع ساس عن التدارك.

قد نص العارفين: إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد، أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة، وإثنت لا تستأخر عن طرفة عين. فينبو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بمسايفها^(٣٥) تخرج منها: على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى، ليستحب فيها ويسرك تقريطه، فلا يجد إليه سبيلاً. وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى ﴿وَجِيلَ يَتَنَبَّهْ وَيُنْهَى يَنْتَهُونَ﴾^(٣٦)، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿مَنْ قُلْ أَنْ يَأْتِيَ أَخَذَ كُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَسْتَفْتِي وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾^(٣٧) فقبل الأجل قريب سدى يصسه معاه أنه يقول عند كشف العطاء للعبد: يا ملك الموت، أخرجني يوم أعتبر فيه إلى ربي وأتوب، وأتردد صالحاً لمسى فيقول: فب الأيام فلا يوم. فيقول فأخرجني ساعة. فيقول: فب الساعات فلا ساعة فينلق عليه باب التوبة، فيترعرع بروحه، وتردد أنفاسه في شر أمفه، ويتجرع عصاة اليأس عن التدارك، وخسرة التذامق على تصحيح العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال. فإذا زهقت نفسه، فإن كان سبق له من الله الحسنى، خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن لطافة. وإن سبق له القصد بالسفوة ولعبد بالله، خرجت روحه عن الشك والاضطراب، وذبح سوء الحجة. ولعل هذا يدل: وأوليت التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن^(٣٨). وقوله ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتَوْبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾^(٣٩) ومعاه عن قرب عهد

(٣٥) حلق الشئ: أماله ورواحه الواحد حمران وكسر حمر.

(٣٦) ساء: سيأ: ٥٤ (٣٧) المتأخرون: ١٠، ١٨ (٣٨) ساء: ١٧

مخضبة من سدر عذب ، ويحوت نوره حنة يرددها من أن يتركه ليرى عن
الذهب فلا يقبله

وحدث في سنة ١٠٠٠ هـ أقيم السيئة الحسنة ثمنها ، وحدث في قمران لانه
يا بلى لا تفرح التوبة ، فإن الموت يأتي بعته ومن ترك استودع إلى التوبة
مالتويف كان بين حصرين عصبي أحدهما أن تتركه نظمه على قلبه من
مصري ، حتى يصير ريباً وصعباً ، فلا يقبل المحو ، الذي أو يعمله
فرض أو الموت ، فلا يجد منه ملائمة بالمحو وحدث ورد في الخبر " إن
أكثر حجاج أهل النار من الشنوف ، فما هلك من هلك " إلا بالشنوف
فيكون تسويده عيب بقدر ، وحلاؤه بالفضة سيئه ، إلى أن يصفه الموت
فيأتي الله بعب غير سليم ولا يحو إلا من أن الله بعب سيب والعب أمانة
الله تعالى عند عبده ، والعمر أمانة لله عنده وكذا سائر أسباب صفاته من
عنان في الأمانة ولم يتدارك غيائته ، فأمره محط في بعض مد في إن الله
تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإقام ، أحدهما إذا خرج من بعض
أمة يقول له : عدي ، قد أخرجك إلى الدنيا طاهر نصيباً ، واسودعت
عمرك واشتكت عه ، فحضر كيف تحفظ الأمانة ، وانظر إلى كيف تلقى
وثنى عدا حروح روحه بقول : عدي ، ماذا صنعت في فاضي عدي ؟ هل
حفظتها حتى تنقش عن عهد ، فذلك على وفاء ؟ أو أصعبها فذلك بمصائبه
والعقاب ؟ وإلى الإشارة بقوله تعالى ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (١)
ويقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَائِهِمْ وَعَهْدِهِمْ وَاعُونَ ﴾ (٢)



(١) الزمر . الطبع والنس . يقال وإن دابة على قلبه أي غلب قال أبو عبيد : في قوله تعالى
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي غلب وقال الحسن رضي الله عنه : هو الذنب من
الذنب حتى يتأذى القلب . وقال أبو عبيد : كل ما خلك قد ران بك ورانته ورانته
(٢) حديث إن أكثر حجاج أهل النار من الشنوف لم أجده أصلاً
(٣) البقرة ١٠٠ (٤) المؤمن ٨



الفصل الخامس

بيان أن التوبة إذا استجبت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى غوب ، ونشئت من كل توبه صحبته فهي
مقبولة ، فاصبرون بور ثباتكم مستودع من راقبكم ، صبركم لكل
فب سيب مقبول عند الله ، وسعد في الآخرة . حوب الله تعالى . ومستعد
لأن يصير بعينه التوبة إلى روح الله تعالى وعنده . عيب حتى سيب في
الأصل ، وكل مولود يولد على الفطرة ، فمده به سلامة بكهارة بره
وحبه من عبده المذنب وظلمته . وعلموا أن الله يدم تحرق تلك العثرة ، وأن
بور الحنة يحو عن وجه القلب ضمة تسعة . لا طاقه لظلام المعاصي مع
بور حسنة كما لا ضقة ظلام الليل مع جور . بل كما لا ضمة بكهارة
الوسع مع بياض العيون . وكما أن الثوب الريح لا يفسد من أن يكون
لباسه والقلب لا يفسد لا يفسد الله تعالى وأن يكون . بل كما لا سيب
الثوب في الأعمال الخبيثة يوسخ الثوب ويوسخه بالصابون والماء الحار يطفئه
لا محالة . فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب ، وعسله بماء الدموع
وحرقه بدم بصره ، ويصبره . ويركيه . وكل من ركي صدره فهو مقبول ،
كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول . فرب عيب به كنهه نصيب . فمحبوب
مقبول قد سوره القضاء لأمر الله تعالى . وهو يسمى فلاح في قبه
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاكَ ﴾ (١)

ومن لم يعرف عن سبيل التحقيق معرفة قوى وأجل من المشاهدة بالبصر ، أن القلب يتأثر بالمعاشي والطاعات فائثاً متصداً ، يستمر لأحدهما لفظ الظلمة ، كما يستمر للجهنم ، ويستمر للآخر لفظ النور ، كما يستمر للعلم ، وأن يوم النور والظلمة تصاداً ضرورياً ، لا يتصور الجمع بينهما . فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ، ولم يعلق به إلا أسنانه ، وقلبه في غطاء كئيف عن حقيقة الدين . بل عن حقيقة نفسه ، وصفات نفسه . ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل . وأعى به قلبه . إذ بقلبه يعرف قلبه . فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه .

فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل ، كمن يتوهم أن الشمس تطع والظلام لا يزول ، والثوب يمس بالصابون والوسخ لا يزول . إلا أن يفوض الوسخ لصابون تراكمه في ليوبيع الثوب وحلله ، فلا يقرى الصابون على قلعه . فمثال ذلك أن تراكم الدوب حتى تصير طبعاً وربنا على القلب . فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يهرب . نعم . قد يقول باللسان : تبت ، فيكون ذلك كقول القصار^(١٨) بلسانه قد غسلت الثوب ، وذلك لا يظف الثوب أصلاً ، ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يصاد الوصف المتمسك به . فبعد حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد ، بل هو العائب على كافة الخلق المقلبين على الدنيا ، انصرف عن الله بالكلية . فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر في قبول السورة . ولكننا معضد جناحه بنقل الآيات ، والأخبار ، والآثار فكل استبصار لا يسهل له الكتاب والسنة لا يوثق به . وقد قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾^(١٩) وقال تعالى ﴿ غَايِرَ الذُّلْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾^(٢٠) إلى غير ذلك من الآيات .

(١٨) قصار الذي يلقى الباب وتحتها ويمررها
(١٩) الشورى . ٢٥
(٢٠) طه . ٣٠

وقال عليه السلام : الله أقورخ بقرية أخد تخم في الجنة . والفرح وراء القبول بها دليل على قبول وزيدة . وقال عليه السلام : إِنْ أَقْرَبَ رَجُلٌ يَسْطُرُ يَمْلِكُهُ بِالتَّوْبَةِ لِمَسْئَةِ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ وَلِمَسْئَةِ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ خَشَعَ لِقَابُ الشَّمْسِ مِنْ قُرْبِهَا . وبسط اليد كناية عن طلب التوبة . وحالب وراء الدين . من ليس بطالب ، ولا طالب إلا وهو قاتل . وقال عليه السلام : لَوْ عَمِلْتُمْ الْخَطِيئَةَ حَتَّى تَبْلُغَ السَّمَاءَ ثُمَّ يُدْعِيَنَّ لِقَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . وقال أيضاً^(٢١) : إِنْ أَعْتَدَ لِيَذِيبَ الذُّلْبَ لِيَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ ، قَبْلَ حَيْثُ دُعِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَكُونُ نَعْتَبٌ عَلَيْهِ تَابِيًا مِمَّنْ قَالُوا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ . قال عليه السلام^(٢٢) : كَفَّارَةُ الذُّلْبِ التَّائِبَةُ . وقال عليه السلام : الْقَابِلُ مِنَ الذُّلْبِ كَمَنْ لَا ذُلْبَ لَهُ .

ويروى^(٢٣) : أن حشاً قال يا رسول الله ، إن كنت أعمل المعاصي ، فيلن لي من توبة ؟ قال نعم . فوَلَّى ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ، أَكُنْ بِرَأْيِ وَأَنَا أَعْمَلُهَا ؟ قال نعم . فصاح الجبشي صيحة خرجت فيها روحه . ويروى^(٢٤) : أن

(٢١) حديث الله بسط يده بقرية لمسه الليل إلى النهار — الحديث : مسلم من حديث أبي موسى بن خلف بسط يده بالليل ليوب مسية النهار — الحديث : وفي رواية ليعزال مسية الليل أن يوب بالنهار — الحديث
(٢٢) حديث لو علمت خطايا حتى تبلغ السماء ثم يدعني لِقَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَمِنْ مَجَهِدٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَاسْتَدْرَجَ حَسَنُ بَلْفُظٍ مَوْعِظَتَهُمْ وَقَالَ ثُمَّ يَدْعُ
(٢٣) حديث أن العبد ليدب الذلْبَ فَيُدْعَلُ بِهِ الْجَنَّةَ — الحديث : ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً ولأن لمع في الخلية من حديث أبي هريرة أن العبد ليقب الذلْبَ إِذَا ذَكَرَهُ أَحْرَهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى اللَّهِ أَنَّهُ أَحْرَهُ غَيْرَ لَهُ — الحديث : وفيه صحابي القري وهو رجل صالح لكنه مضى في الحديث ولأن أبي الدنيا في التوبة من حديث أبي عمران إلى أنه يفتح العبد بالذلْبِ بذنبه والحديث غير مصور قاله السبيل .
(٢٤) حديث كفارة الذلْبِ التَّائِبَةُ : أحمد والقرطبي وهو في التائب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمر ابن مالك الشكري ضعيف .
(٢٥) حديث إن حبشاً قال يا رسول الله إن كنت أعمل المعاصي فهل من توبة قال نعم — الحديث : م أحمد به أصلاً
(٢٦) حديث إن الله لا يمس الممس سأل النظرة فانظره إلى جود القيامة فقال وعزتك لاخرجت من قلبك من آدم ما دم فيه الروح — الحديث : أحمد وأبو يعلى والحاكم . صحيحه من حديث أبي سعيد عن النبيان قال وعزتك يا رب لا أزال أرى حيادك ما كنت أقوسهم في أجسادهم فقال وعزتك لا أزال أرى لهم ما استقروا في أرواحهم المصنف بصيغة ويروى كذا و . . إلى أبي جعفر ذكرته إيجاباً

وسرحنا رواحهم في العلا، حتى أُنحوا في ريدس سعيم، وحاصروا في بحر الحياة، وردموا حادق الحرع وعبروا جسور الفؤى، حتى تزلزلوا بقضاء العلم، واستقوا من غدير الحكمة، وركبوا سفينة العطفة، وأتمعوا برش السحاة في بحر السلامة، حتى وصلوا إلى ريدس الراحة ومعذب العز والكرامة. فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فتيقوه لا محالة. ^١

فإن قلت : أقول ما قاله المعتزلة ، من أن قبول التوبة واجب على الله ؟
 فأقول : لا أحیی بما ذكرته من وجوب قبول توبة عی الله ، إلا ما یریده
 القائل بقوله إن التوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ . وإن العطشان
 ید شرب ماء ، وجب زوال العطش . وإنه إذا مع الماء مدة وجب العطش . وإنه
 ید دم العطش وجب التوب . ویس فی شیء من ذلك ما یریده المعتزلة
 بالإحاطة علی الله علی من أقرب حبس لله علی القصة مکرمه لسمیة ،
 وحس ما حیه سبیة ، كما خلق الماء مرهلاً للعطش ، والقصة متسعة خلاصه . و
 سمیت به لمشیة . فلا واجب علی الله عالی ، ولكن ما سبقت به برادته الأریة
 فواجب کثرته لا بحالة . فإذن قلت : فما من قائل إلا وهو شاک فی قبول توبته
 والشارب للماء لا یسک فی زوال عطشه ، فلم یسکت فیه .

فان شكة في القبول كشكة في وجود شرائط الصحة هي ملتوية
أركاناً وشروفاً دقيقة كما سيأتي ، وليس يتحقق وجود جميع شروطها ، كالذي
يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل ، وذلك لشكة في حصول
شروط الإسهال في الدواء ، باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء
وطبيعته ، وجودة عقاقيره وأدوية . فهذا وأمثاله موجب للحوف بعد التوبة ،
وموجب للشك في قبولها لا محالة ، على ما سبق في شروطها إن شاء الله
تعالى .



الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب
صغائرهما وكبائرها

- بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد .
- بيان ما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحسن الله تعالى .
- بيان كيفية توزع الدرجات والدرجات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الذنوب
- بيان ما تعظم به الصفات من الذنوب .



المجلد الأول
بيان أقسام الذنوب
بالإضافة إلى صفات العبد

تمهيد وتهيئة

اعلم أن التوبة ترك الذنب . ولا يكن ترك الشيء إلا بعد معرفته .

وإذا كانت التوبة واجبة ، كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجباً .
فمعرفة الذنوب إذاً واجبة .

والذنوب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى ، في تركه أو فعله .

وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكديت من أوما إلى آخرها ،
وليس ذلك من غرضنا .

ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها .

والله الموفق للصواب برحته

اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة . على ما عرف شرحه في كتاب
محاسن القلب وغوائله ولكن تنحصر مشيت الذنوب في أربع صفات :

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى
ترجع إلى حركته ويزدهر وعلم والميل الطبيعي أبداً يستمع الإرادة
الجارية، والقدرة والإرادة أبداً سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.
عندئذ يجب تقديم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١١) وعبر القضاء الكللى الأربى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(١٢) وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة شخصية في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة.

(١٧) القاموس ٤٩

(١٧) مصر

[illegible]

سير القدر

ومن حرك سبيله لأبيه و - - - - -
ارتد عنه صاحب سبيله لأبيه - - - - -
ب لا حنى إلا الله ، ولا مدح غيره

فإن قلت قد قصت على كل واحد من اثنين خبر، والاختراع،
والكسب، أنه جادى من وجه، وهو مع مسند غسر، وهذا نقص، فكيف
يمكن فيه دلت^٩ وهل يمكن ليصحب^{١٠} ذكر^{١١} الألفهم^{١٢} بشا^{١٣}.

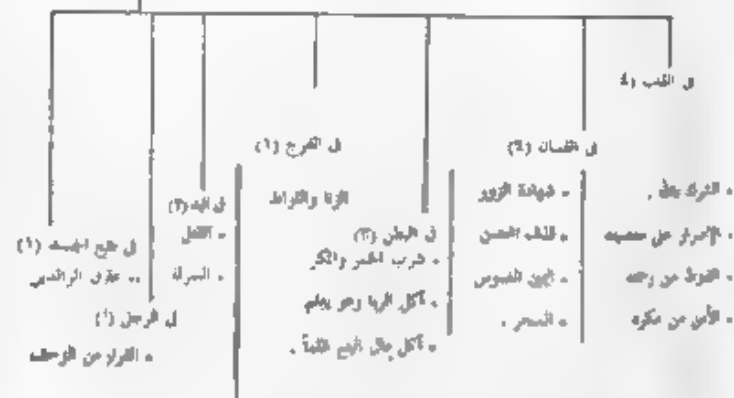
وَعَلِمَ أَنَّ جَمْعَهُ مِنَ الْمَرْبِاءِ هُوَ تَعْمُورُهُمْ فِي أَسَدَةِ حَيَوَانَاتِ عَجَبٍ
يُسَمَّى الْمَيْمُونِ، وَمَا كَانَ قَدِ شَهِدُوا تَعْمُورَهُمْ وَلَا سَمِعُوا سَمْعَهُمْ وَلَا بَدَأُوا

٧ الألفاظ

(*) النسخه 2

بيان ما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله

میں نے



التزويد



اعلم ان مدح النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير خلاف الناس فيه .
فقد وثقوا لاصحبه ولا كثره من كمال محبة الله فيهم وهذه صيغة إيد
قال تعالى ﴿لَنْ نَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَشْيَاءٍ خِطْبَةٍ﴾ عن كثرة عنكم سيئاتكم ولقد حللتم
مؤخرًا كرمهم . وقال تعالى ﴿لَنْ نَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَشْيَاءٍ خِطْبَةٍ﴾ عن كثرة عنكم سيئاتكم ولقد حللتم

[illegible]

القيم ^(٦٠) وقال ^(٦١) : الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة
يكثرن ما يتهن إن اجتبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما يتهن إلا
الكبائر وقد قال ^(٦٢) فيما رواه ^(٦٣) عبد الله بن عمرو بن العاص والكبائر
الأشراك بالله وغشوق آل الدين وقتل النفس واليمين الغموس .

تحديد الكبائر من الصفائر

واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر ، من أربع إلى سبع ، إلى تسع ،
إلى إحدى عشرة مما فوق ذلك . فقل ابن مسعود ، من أربع . وقال ابن
عمر : من سبع . وقال عبد الله بن عمرو . من تسع . وكان ابن عباس إذا بلغه
قول ابن عمر : الكبائر سبع يقول من إلى سبعين أقرب منها إلى سبع . وقال
مرة . كل ما سئى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره : كل ما أوجده الله عليه بالدر
فهو من الكبائر . وقال بعض السلف . كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو
كبيرة . وقيل إنها مبيعة لا يعرف عددها ، كنية القدر ، وساعة يوم الجمعة .
وقال ابن مسعود لما مثل بها . اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية
منها عذوبة ^(٦٤) إن تحسوا كبائر ما تهتدون عنه ^(٦٥) فكن ما سئى الله عنه في
هذه السورة إلى حد فهو كبيرة . وقال أبو صبيح ملكي أن الكبائر سبع عشرة ،
جمعت من جملة الأخيار ^(٦٦) وخمسة ما اجمع من قول ابن عباس ، وابن
مسعود ، وابن عمر وغيرهم ، أربعة في القسب ، وهي الشرك

(٦٠) التحد ٣ والحمد لصغار الذنوب

(٦١) حديث الصلوات الخمس جمعة من الجمعة كغير ما يبين أن حبس الكبائر سبع من حديث

أبي هريرة

(٦٢) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الأشراك بالله وهو الله تعالى وهو النفس واليمين الغموس ورواه

البيهقي

(٦٣) النساء ٣١

(٦٤) الأحبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي حنيفة ملكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعت من
جملة الأخيار وخمسة ما اجمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله ، والإصرار =

بالله ، والإصرار على معصيته ، والقبوط من رحمته ، والأمن من مكروه . وأربع
في اللسان ، وهي شهادة الزور ، وقذف العصب واليمين الغموس ، وهي التي
يحن بها باطلاً أو يطل بها حقاً ، وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم
باطلاً ولو سواها من أركان وصحيت غموس لأنها تغمس صاحبها في النار ،
والسحر ، وهو كل كلام يغير الإنسان ، سائر الأجسام عن موضوعات
الحقيقة .

على معصيته ، والقبوط من رحمته ، والأمن من مكروه ، وشهادة الزور . وقذف العصب واليمين الغموس
والسحر ، وشرب الخمر ، وللسكر ، وأكل مال اليتيم ضيقاً وأكل الربا ، وزنا والواط ، والقتل ،
والسرقة والقرار من الزنى ، وعقوق الوالدين ، انتهى وذكر ما ورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها
في حديث عبد الله بن عمرو ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا سبع الموبقات قالوا
يا رسول الله ، وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل
مال اليتيم ، وثلاث يوم فرح ، وقذف المحصنات الزنى ، ولها من حديث أبي بكره ألا أتيتكم
بأكبر الكبائر الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، لو قال قول الزور لها من حديث أنس
سهل عن الكبائر قال الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقال ألا أتيتكم بأكبر الكبائر : قال
قول الزور ، لو قال شهادة الزور ، ولها من حديث ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ أي قلب
أعظم ؟ قال أن تحس الله بما هو منك ، قلت لم أي ؟ قال قد نفلت ذلك فانه أن يعلم معك عت في
أي ؟ قال أن ترى حيلة جارك ولطيف من حديث مسلم بن قيس إنه من أربع لا تتركوا بالله شيئاً ،
ولا تقتلوا نفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا . وفي الصحيحين من حديث عباد بن
صامت يابسون عن أن لا تتركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا الأوسط للطبراني من حديث ابن
عبس الخمر أم الفوحش ، وأكبر الكبائر وهي مرفوعة عن عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر
وكلامها ضعيف ولينزل من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر قال :
الشرك بالله ، والإيمان من روح الله ، والقبوط من رحمته الله ، وله من حديث أربعة أكبر الكبائر الإشراف
بالله ، وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ، ومنع الفضل ، وفيه صالح بن حبان خطبه ابن مسعود ، انتهى
وفي حديث ابن عباس السبعين ضعيفاً للطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر
والعرب بعد الهجرة وفيه ابن وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه الرجوع
إلى الأحرارية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأحمري خطبه القدراني ولما كان من حديث حيد ابن عمار من
أيه الكبائر سبع فذكر منها واستحلال البيت الحرام والطبراني من حديث وثقة إن من أكبر الكبائر أن
يقول الرجل عني ما لم أقل وفيه أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن يقتل الرجل من ولده ولمسلم من
حديث جابر بن الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث جابر بن الرجل وبين
الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والده ولأن
فلود من حديث سعيد بن زيد من أبى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من

ثلاث في البطن، وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال
ابنتي ظلمات، وأكل الربا وهو يبيع وتشت في المرح، وهو نرد وسواه.
وأنتك في البدن، وهما القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين، وهو الفرار
من ارحب، لواحد من اثنين، والعشرة من احشرين ووحدة في جميع
الجسد، وهي حقوق الوالدين، قال وجهه عقوبتهما أن يقسما عليه في حق فلا
يبر قسمهما. وإن سألناه حاجة فلا يعطيهما، وإن يسبه فيضربهما، ويجوعان
فلا يعطيهما.

هذا ما قاله وهو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء، إذ يمكن الزيادة
عليه والنقصان منه، فإنه جعل أكل الربا ومال ابنتي من الكبائر، وهي جناية
على الأموال ولم يذكر في كبائر العموس إلا القتل فأما فقه العين، وقطع
ليدين، وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب، مما
يتعرض له وضرب ابنتي وتعذيبه، وموضع ضراعه لا شئ في أنه أكبر من أكل

حيث ابن عباس أنه عليه السلام قال ليس يقال إنها يمدان وما يمدان في كبر وإنه أكبر لما أحدهما
فكان ينبغي بالجملة وأما الآخر فكان لا يستمر من بوله الحديث: ولأحد في هذه قطعة من حديث
في بكرة لما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث: ولأبي داود والترمذي من حديث أبي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من شرب الخمر أو أكل الربا لم يمت حتى يذوق الموت
واستمره فيطردى والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لا صورة مع أصح
وقه أبو شيبة الخراساني والحديث منكر معروف به (وأما الموقوفات) فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن
ابن مسعود قال الكبائر الأشراك بالله والأمن من مكر الله والضيوط من رحمة الله واليأس من روح الله
وروى البيهقي في عن ابن عباس قال الكبائر الأسراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله
ويعقوب الترمذي وعقل الناس حتى يجرم الله ولقد المصنعت وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل
الربا والسحر والربا واليمين العموس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب
الخمر وترك الصلاة متصلاً وأثناء ما قرطه الله وتلقى العهد وقطعة الرسم وروى ابن أبي شيبة في
التوبة عن ابن عباس كل ذنب أسير عليه العبد كبير وفيه أربع من صحيح خلفه في وروى أبو منصور
الطبراني في مسند الفريدي عن أبيه قوله لا صورة مع الأصح واستاده جيد قد اجتمع عن الموقوفات
والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو ثمان وثلاثون إلا أن بعض لا يصح استاده كما تقدم وإنا ذكرت الموقوفات
حتى يعلم ما ورد في الموقوف وما ورد في الموقوف واليه في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر
سبع فقال هي إلى سبع أقرب وروى البيهقي أيضاً في عن ابن عباس قال كل ما سئى الله منه كبير والله
أعلم

ماله. كيف وفي الخبر: من الكبائر (٦٦) السكوت بالنسبة ومن الكبائر استبطالة
الرجل في عرض أبيه المسلم، ومذاكرته عن فدى نفسه (٦٧) أبو
سعيد الخدري وغيره من الصحابة. إنكم لتسمون أعمالاً هي أدق في أعينكم
من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر.

وقالت طائفة كل عتيد كبيرة، وكل ما سئى الله عنه فهو كبيرة: وكشف
الغطاء عن هذا. أن نظر النظر في الدقة هي كبيرة أم لا، لا يصح، ما لم
يعلم معنى الكبيرة والمراد بها. كقول القائل: سرقة حرام أم لا، لا مطمع في
تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولاً ثم بحث عن وجوده في السرقة.
فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم، ليس له توسع خاص في اللغة ولا في
الشرع. وذلك لأن الكبير والصغير من المعصيات، وما من ذنب إلا وهو كبير
بالإضافة إلى مدونه، وصغير بالإضافة إلى ما عوفه. فالمضاجعة مع الأجنبية
كبيرة بالإضافة إلى الضرر، صغيرة بالإضافة إلى الرضا، وقطع يد المسلم كبيرة
بالإضافة إلى صيرته صغيرة بالإضافة إلى قته. نعم للإنسان أن يطلق على
ما توقعه بالار على فعله خاصة اسم الكبيرة. ويصحب بوصفه بالكبيرة أن العقوبة
بالأر عظمة، وله أن يطلق على ما لوجب الله عليه مصوراً إلى أن ما جعل
عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة، وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب
الهي عنه، فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمة، ثم يكون
عظيماً وكبيرة لا محالة بالإضافة. إذ متصريحات القرآن أيضاً تتفاوت
درجاتها.

(٦٦) حديث من الكبائر السكوت بالنسبة ومن الكبائر استبطالة الرجل في عرض أبيه المسلم: هذا أبو
صغير البيهقي في مسند الفريدي لأحد وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه
من أبيه طعن استطالة في عرض أحمد بن زيد

(٦٧) حديث أبي سعيد الخدري: غيره من الصحابة أنكبوا أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر
ك ما عوفه عن عهد رسول الله ﷺ من الكبائر أحد وأبو سعيد صحيح وقال في الموقوفات. يدل
الكبائر ورواه البخاري من حديثه نفس واحد وقيل لا من حديث عباد بن عمار وقال صحيح الاسناد.

ففيه الإطلاقات لا حرج فيها . وما بقا من العطف الصلوة يتردد به هذه الحديث ، ولا يعد تبرئها على هيئ من هذه الاحتمالات . نعم من المحدث أن يعلم معنى قول الله تعالى ﴿ إِنْ تَحِبُّوا كِبَارًا مَا تُهْزُونَ عَنْهُ يُكْفَرُ عَنْكُمْ سِئَاتِكُمْ ﴾ وقول رسول الله ﷺ ، الصَّلَاةُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا الْكِبَارُ ، فَإِنْ هَذَا إِيَّاتِ جُكَمِ الْكِبَارِ .

تحديد الغزالي في الفرق بين الصغيرة والكبيرة

والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه وإياها . وإلى ما يعلم أنها مملوذة في الصغائر ، وإلى ما يشك فيه فلا يلزم حكمه : فالطمع في معرفة حد حاصر ، أو عدد جامع مانع ، طبع لما لا يمكن فإن دلت لا يمكن إلا باسماع من رسول الله ﷺ ، فإن يقول من أردت بالكبائر عشرًا ، أو خمسًا ، ويفصلها ، فإن لم يرد هذا ، بل ورد في بعض الألفاظ^(٦٨) ثلاث من الكبائر ، وفي بعضها^(٦٩) سبع من الكبائر . ثم ورد أن السبعين بالنسبة الواحدة من الكبائر ، وهو يخرج عن السبع والثلاث ، علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر . فكيف يعلم أن عدد ما لم يحد الشرع ١ وربما قصد الشرع إقامته ليكون العباد مه على وجل ، كما أبهم القدر يعظم حد الناس في طلبها . نعم لا سبيل كل يكف أن يعرف به أجاس الكبائر وأنواعها

(٦٨) الساء . ٣١

(٦٩) حديث ثلاث من الكبائر . النجعات من حديث أبي بكره ألا أنيكنم بأكثر الكبائر ثلاثاً .

أخذت . وقد تقدم

(٧٠) حديث سبع من الكبائر : ضيق في الأوبى من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم والى الكبير من حديث عبد الله بن عمر من صل الصلوات الخمس وجبت الكبائر — أفتيت — ثم علني سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث : أف مرتبة اجتنبوا السبع الموبقات .

بالتحقيق . وأما أعياها فتعرفها بالظن والتقريب . عرف أيضاً أكبر الكبائر . فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته .

وبإياه أيضاً أنا يعلم بشواهد الشرع وأنور بصائر جميعاً ، أن مقصود الشرائع كلها سياق الحق إلى جوار الله تعالى ، ساعدة لقاؤه . وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعونة الله تعالى ومعرفة صفاته ، بحبه ورسله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْحَرَّ وَالْأَلْسَنَ إِلَّا بِعُذُونٍ ﴾^(٧١) أي لكونه عيذ . ولا يكون العبد عيذاً ما لم يعرف به مربية ، وقد في العودية ولا بد أن يعرف نفسه وربه . فهذا هو المقصود لأقصى بيعة الأبي . ولكن لا يتم هذا في حياة الدنيا ، وهو يسمى بقوله عبد السلام^(٧٢) ، الدنيا مزرعة الآخرة . فحفظ الدين أيضاً مقصوداً منه . فليس ، لأنه وسيله إلى وسم من الدنيا الآخرة شتان . النفوس والأمر . فكل ما يسد باب معرفه الله تعالى فهو أكبر الكبائر . وبه ما يسد باب حياة القدس . وبه ما يسد باب أمعايش التي بها حياة النفوس . فهذه ثلاث مراتب

محفوظ للمعرفة على القلوب ، والحياة على الأبدان ، والأموال على الأشخاص ، ضروري في مقصود الشرائع كلها . وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها الملل . فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبياً يريد بيعته بصلاح خير في دينهم وديارهم ، ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله ، أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال . فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب .

(٧١) الفاربيات . ٥٦

(٧٢) حديث الدنيا مزرعة الآخرة : لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً . يرى العقيل في الضعفاء وأبو بكر من لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشج تمت النار الدنيا لم يزود منها لآخره أفتيت : وإساده صعب

المرتبة الأولى من الكبائر (الكفر)

الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله، وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر. إذا أحببت بين الله وحده العبد هو أحسن ولو سئد المقرة له إليه وهو الخم ومعرفة وفهمه بقدر معرفته، ويعد بقدر جهته ويتوهم الخلل الذي يسمى كبراً. الأمن من مكر الله، والقسط من رحمته. فإن هذا أيضاً عين الخلل. فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمناً، ولا أن يكون آيماً. ويتلو هذه الآية الدعاء فيها، الخسفة بدات الله، وصماته، وأعماله. وبعضها أشد من بعض. يدونها عن حسب بدات الخلل بها، وعلى حسب تعلقها بدات الله سبحانه، وبأعماله، وشرايعه، وبأوامره، ونواهيهِ ومراتب ذلك لا تحصر وهي تقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل، وإلى ما يشك فيه، وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع.

المرتبة الثانية من الكبائر (القتل) ما يتعلق بالنفوس

المرتبة الثانية: النفوس. إذ يبقائها وحفظها تدوم الحياة، وحصل المعرفة بالله. قتل النفس لا محالة من الكبائر، وإن كان دون الكفر. لأن ذلك يصدم عين المقصود، وهذا يصدم وسيلة المقصود. إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للأخرة، والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى.

قطع الأطراف

وهو هذه الكبيرة قطع الأطراف. وكل ما ينقص إلى هلاك، حتى الضرب. وبعضها أكبر من بعض.

الزنا واللواط

ويقع في هذه المرتبة تحريم الزنا واللواط، لأن اجتماع الناس على الاكتفاء بالذكر في قضاء الشهوات اقتطع السبل، وجمع الموجود قريب من قطع الوجود. وأما الزنا فإنه لا يموت فصل الوجود، ولكن يشوش الأنساب. ويظهر اسوارث والتناصر وجهة من الأمور التي لا ينظم العيش إلا بها. بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا، ولا ينظم أمر لبائهم ما لم يتمز المحل منها بإثبات ينص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع قصد به الإصلاح. وينبغي أن يكون الزنا في المرتبة دون القتل، لأنه ليس يموت نواته بوجود، ولا يجمع أصله. وبكيفية يموت بغير الأسباب ويحدث من الأسباب ما يكاد يعضى إلى شقائه. ويسمى أن يكون أشد من اللواط، لأن الشهوة داعية إليه من الجنابين، هيئت وقوعه، ويعظم أثر الضرر بكثرة.

المرتبة الثالثة من الكبائر (ما يتعلق بالأموال)

المرتبة الثالثة: الأموال. فإنها معاش الخلق. فلا يجوز تسلبه الدس على تناولها كيف شاعوا، حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرها. بل ينبغي أن تحفظ لتبقى يقاتها النفوس. إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها، وإن أكلت أمكن تفرغها. فليس يعظم الأمر فيها نعم: إذا جرى تناولها بطريق مصر التدارك له، فغنيبي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق:

السيرة:

أحدها: الخفية، وهي السرقة. فإنه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف يتدارك؟

أكل مال اليتيم :

الثاني . أكل مال اليتيم . وهذا نوع من خفية وأعمى من حق بولي والقيم ، فإنه مؤتمن فيه ، وليس له خصم سوى اليتيم ، وهو صغير لا يعرفه . فتعصم الأمر به واجب ، بخلاف العصب فيه ظاهر يعرف ، وبخلاف الحياة في الوديعة ، فإن المودع خصم فيه يتصرف لنفسه .

شهادة الزور :

الثالث : تمويجها بشهادة الزور .

اليمين الغموس :

الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس^{١٢٢} . فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك . ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً ، وبعضها أشد من بعض ، وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس .

وهذه الأربعة جديدة بأن تكون مرادة بالكبائر ، وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر القواعد عليها ، وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها .

أكل الربا :

وأما أكل الربا . فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضى ، مع الإخلال بشرط وضعه الشرع . ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله . وإذا لم يحسم العصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه ، وبغير رضا الشرع من الكبائر ، فأكل الربا أكل برصا مثلك ، ولكن دون رص الشرع . وإن عظم الشرع الربا بالحرع عه قد عصى أيضاً الصلح بالعصب وغيره وعظم الحياة . والمنصير إلى أن أكل دس بالحياة أو العصب من الكبائر فيه نظر . وذلك واقع في مظنة الشك . وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر ، بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما

(١٢٢) الغموس : الكاذبة التي تنفس صاحبها في الإثم ثم في الشر

لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضرورياً في دين

فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي في القذف ، والشرب ، والسر ، والغرار من الزحف ، وعقوق الوالدين .

شرب الخمر :

أما الشرب لما يربى العقل ، فهو جدير بأن يكون من الكبائر . وقد ذهب عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضاً لأن من يحتصمه ، كما في العصب محظوظة بل لا يخرج من النفس دون العقل . فربما من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ، فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من خمر لم يكن ذلك كبيرة . وإنما هو شرب ماء خمر . وبقطرة واحدة في عسل الشك . وإيجاب الشرع الحد به حتى تعظم . فبعد ذلك من الكبائر بالشرع . وليس في قوة البشرية توقف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع ، وإلا فالتوقف فيه مجال .

القذف :

وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض . والأعراض دون الأموال في الرية . وتناولها مراتب . وأعظمها تناول بدمع ، بالإضافة إلى فاحشة الرضا ، وقد عظم الشرع أمره . ونفس صاعداً في نصيحة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيره ، فهو به الاعتبار لا بحره الصلوات الخمس ، وهو الذي نريد به الكبيرة الآن . ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، ونفاس بمجرد لا يدل على كبره وعظمته . بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العمل الواحد إذا رأى إنساناً يزني ، قلله أن يشهد ، ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته . فإن لم تقبل شهادته فحده ليس ضرورياً في مصالح الدنيا ، وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة حداث . فبعد هذا أيضاً يجوز بسكتة في حق من عرف حكم الشرع . فثما من ظن أن له أن يشهد وحده ، أو ض أنه يساعده على شهادة غيره ، فلا ينبغي أن يعمل في حقه من الكبائر

وقد السحر ، وإن كان فيه كفر فكبره . . . لا معصية تحت الضر الذي يتولد منه من هلاك نفس ، أو مرض ، أو غيره .

الفرار من الزحف وعقوق الوالدين :

وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضاً يعني أن يكون من حيث النفس في محل التوقف . . . يصح أن يسب الناس بكل شيء سوى الزنا ، وضربه ، وخطفه ، ونقص أمواله ، وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإحلالهم من أوطانهم . . . يس من تكاثر إذا لم يمتد ذلك في البيع عشرة كبيرة ، وهو أكبر ما قيل فيه . . . وسوق في حد أيضاً ثم بعد ، ولكن حديث يدل على تسميته كبيرة فيلحق بالكثرة .

مرد رجع حصل الأمر أن معنى تكبره . . . لا تكبره اصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما اتفق على ما علم أنه لا تكبره قطعاً ، وإلى ما يعني أن تكبره ، وإلى ما يتوقف فيه والمنزلة فيه بعضه مظلون للنهي والإثبات ، وبعضه مشكوك فيه ، وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة . وإذا لا مطمع فيه ، فطلب رفع الشك فيه حال .

إن قلت : فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها . فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده .

فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإيهام ، لأن ذلك التكليف في دار الدنيا . والكثرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة . بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها ، كالسرقة والزنا وغيرهما . وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها . وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، والإيهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر ، فلا يتجرعون على الصلوات اعتقاداً على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصلوات بموجب قوله تعالى ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ تُكْفِّرْ عَنْكُمْ

صغائركم ﴾ . ولكن اجتناب الكبيرة إذا يكفر بصغيرة يد اجنب مع القدرة والإرادة . كمن يتمكن من امرأة ، ومن مواقفه فكيف نفسه من الوقوع ، فيقتصر على نظر أو لمس فإن مجردة عنه بالك . عن الوقوع ، أشد تأثيراً في توبير قلبه من إقدامه على النظر في إطلاعه . فيه معنى تكفيره . فإن كان عباً ، لم يكن امتناعه إلا ضرورة للمعسر أو كان قادراً ولكن امتنع لحوف أمر آخر ، فهذا لا يصنع بشكرك أصلاً وكل من لا يشتهي حرم بطيحه ، ولو أبيع له لما شربه ، فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته ، كسماع الملاهي والأوتار . نعم : من شتهي الحمر وسماع الأوتار ، فيمسك نفسه بامتناعه عن الحمر . ويطلقها أو لسماع ، فمحدثه النفس بالكفر . رد فمحو عن قلبه الغلبة التي ارتفعت به من معصية السماع .

فكل هذه أحكام أخروية ، ويجوز أن يبقى حجب في محل الشك ، وتكون من مشايخ ، فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص . . . يرد نص بعد ، ولا حد . جمع ، بل ورد بأعطاء محتمات . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « الصلوة إلى الصلاة كخزاة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وتلك السنة ونكت الصلوة » قيل ما ترك السنة ؟ قيل الخروج من الجماعة ، ونكت الصلوة أن يبيع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقتله . فهذا وأمثاه من الأعداء لا يغير بالعدد كنه ولا يدل على حد . فبقى لا محالة مبهماً .

فإن قلت الشهادة لا تصل إلا لمن يجنب الكبائر ، والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة ، وهذا من أحكام الدنيا ، فاعلم أنا لا نخص رد الشهادة بالكبائر . فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ، ويلبس الديباج ، ويتحتم بخاتم الذهب ، ويشرب في ألوان الذهب والمصبة ، لا تقبل شهادته ، ولم

(٧٤) فاء ٣١

(٧٥) حديث الصلاة في الصلاة كخزاة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وبرك السنة ونكت الصلوة . الحديث . يخاتم من حديث أبي هريرة نحوه . وقال صحيح الاسناد

يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من كثر دون لشعبي رضى الله عنه : يد
شرب الخمر البهجة حدته ، ولم أورد شهادته . فقد جمعه كبره بمرحله أحد ،
ولم يرد به الشهادة . فدل على أن الشهادة نقياً وبينة لا تور عن صحتها
والكبار . بل كل الدنوب تندح في العدالة ، إلا ما لا يخفى الإنسان عنه غالباً
بضرورة مجارى العادات ، كالعبية ، والتجسس ، وسوء الفتن ، والكذب في
بعض الأقوال ، وسماع البنية ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأكل
الشبهات ، وسب الولد والعلام ، وضربها بحكم المصعب زانياً على المصلحة ،
وإكرام السلاطين الظلمة ، ومصادقة الفجار ، والتكامل عن تعليم الأهل
والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين . فهذه دنوب لا يتصور أن يمتنع
الشاهد عن قلبها أو كثورها إلا بأن يتزل الناس ، ويحذر لأمر الآخرة ،
ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على صيته مع المبالطة بعد ذلك . ولو لم يبق إلا
قول مثله لعم وجوده ، وبطلت الأحكام . والنهارات . وليس ليس الحرير ،
وسماع الملاهي ، والعبه بالتردد ، وبجائسة أهل الشرب في وقت الشرب ،
والخوة بالأجنبيات ، وأمثال هذه الصغائر من هذا القليل . قال في مثل هذا
المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة ورددها ، لا إلى الكثرة والصغرة .
ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واطب عليها لأثر في رد
الشهادة . كمن اتخذ البنية وثلب الناس عادة . وكذلك بجائسة الفجار
ومصادقتهم . والصغيرة تكبر بالمواظبة ، كما أن المباح يصغر بالصغيرة بالمواظبة
كاللعب بالشطرنج ، والترجم بالساء على القوام وغيره . فهذا بيان حكم الصغائر
والكبار .



المحل الثالث

بيان كيفية توزيع الدرجات والمدرجات في الآخرة على الحسنات والنسيئات في الدنيا

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة . والآخرة من عالم العيب
والملكوت . وأعني بالدنيا حالتك قبل الموت ، والآخرة حالتك بعد الموت .
فدنياك وأمرتك صفاتك وأحوالك يسمى القرب الدال منها دنيا ، والمتأخر
آخرة . ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة بما الآن نتكلم في الدنيا وهو
عالم الملك ، وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم سكوت

ولا يتصور شرح عالم سكوت في عالم الملك لا بصرف الأمان . ولذلك
قد نص في **﴿ وَتِلْكَ الْأَنْفَالُ تُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهَا يَتَفَكَّرُونَ ﴾** ^{٧٦}
وهذا لأن عالم الملك يوم بالإضافة إلى عالم النسيئات . وبذلك قد ^{٧٧}
الناس يوم فإذا ماتوا تسهوا ، وما سيكون في ليلقة لا يتبين لك في اليوم ،
إلا لأمتن ، مصحوة إلى التعبير ، فكذلك ما سيكون في ليلة الآخرة لا يتبين في
يوم الدين إلا في كثرة الأمتال . وأعني بكثرة الأمتال ما يعرفه من علم لغيره .

وبكيفية منه إن كنت مضاً ثلاثة أمتة . ضد جاء رجل إلى ابن مسعود
فقال رأيت كذا في يدي حاتمياً أنخم به أهواء لرجل وعروج النساء فقال
بك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر . قل صدقت . وجاء رجل آخر
فقال : رأيت كأنني أصيب الزيت في الزيتون فقال إن كان تحت حذرتي
أشربت ففنى عن حالها ، فإنها أملك سبيت في صغرك ، لأن الزيتون أصل

(٧٦) التنبؤات - ٤٣ .

(٧٧) حديث الناس يوم قتلوا ماثوا الصبوة : لم أجدته مرفوعة وإنما جرى إلى عن ابن أبي طالب .

الزيت . فهو يرد إلى الأصل . فنظر هنا جاريته كانت أمه ، وقد سبت في صبره . وقال له آخر : رأيت كأي أفلد الدبر في أعناق الخنازير . فقال إنك يمين الحكمة غير أهلها ، فكأن كما قال .

واستعمل من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال . وإنما نسي بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجد صادقاً . وإن نظر إلى صورته وحده كادماً . فنؤيد إن نظر إلى صورة الخاتم . والحكم به هل الفروج رآه كادماً . فإنه لا يعم به مص . وإن نظر إلى معناه وجد صادقاً ، إذ صبر منه روح الختم ، ومعناه ، وهو الختم الذي يراد الختم له . وليس للأبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال ، لأنهم كانوا أن يتكلموا الناس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أسهم في النوم ، والناس لا يكشف له عن شيء إلا بمثل ، فإذا ما تروا تنبوا وعلموا أن المثل صادق . وذلك قال ﷺ (٧٨) **وَلَقَدْ أَنذَرْنَا بِهِ** أصناف من أصناف الرخصين ، وهو من المثل الذي لا يعقله إلا العالمون . فأب الجاهل فلا يجاور قدره ظاهر المثلان ، لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلاً ، كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تسييراً ، فثبت لله تعالى هذا وأصبحت ، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

وكذلك في قوله ﷺ (٧٩) **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَنَى صُورَتِهِ** ، فإنه لا يعمهم من الصورة إلا اللون والشكل وعينه ، فثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

ومن هنا زل من زل في صفات الإلهية ، حتى في الكلام ، وجعلوه صوتاً وحرفاً إلى غير ذلك من الصفات ، والقول فيه يطول .

وكذلك قد يرد في أير الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملعن ، بمحمود نظره هل ظاهر المثل وتنقصه عنه كقوله ﷺ (٨٠) **وَيُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي**

(٧٨) حديث قلب المؤمن بين أصابع الرحمن : تقدم

(٧٩) حديث أن الله خلق آدم على صورته : تقدم

(٨٠) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كمثل أكل نخل : تقدم

صُورَةَ كَيْشٍ أَمْلَحَ فَنَدَّجَ ، فيثورة الملعن الآخر يكذب ، ويستعمل به هل كذب الأبياء ويقول : يا سبحان الله - الموت عرض ، والكيش جسم ، فكيف ينقلب العرض جسماً هل هذا إلا محال ! ولكن الله تعالى عز وجل هؤلاء الخلق عن معرفة أسرارهم فقال **﴿لَوْ مَا يَتَقَلَّبُهَا إِلَّا إِلَهٌ ثَمُونٌ﴾** (٨١) ، ولا يدري المسكين أن من قال : رأيت في منامي أنه حيء بكيش ، وقبل هذا هو الوباء الذي في الهند ، ودبح ، فضل المعبر . صدقت : والأمير : رأيت ، وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبح وقع بين من ، فإذا المعبر صادق في تصديقه . وهو صادق في رؤيته . ونرجع حصته ذلك إلى أن موكل بالرؤيا ، وهو الذي يطلق الأرواح عند النوم على ما في النوح المصنوع ، عرته بما في النوح المصنوع مثال صبره به لأن النام إنما يحصل مثال فكان مثاله صادقاً ، وكان معناه صحيحاً .

فالرسل أيضاً يتكلمون الناس في الدنيا ، وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة ، حكمة من الله ، ولطفاً بعباده ، وتيسيراً لإدراك ما يحجزون عن إدراكه دون ضرب أمثال . فقله يؤتى بالموت في صورة كيش أملح ، مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت ، وقد حبلت القلوب على التأثير بالأمثلة ، وثبت تعالى فيها بواسطة . ولذلك عبر القرآن بقوله **﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾** (٨٢) عن نهاية النسخ ، وعبر ﷺ ، بقوله **﴿قَبْ** **الْمُؤْمِنِينَ تَبْنَ أَصَابِعِ الرَّخْمِينَ** ، عن منعة التقلب وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع الباديات ، فلنرجع الآن إلى العرض

فالمقصود أن تعريف تورع الدرجات والدركات على الحسنة والسيئة ، لا يمكن إلا بضرب المثال ، فلتعهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته ، فقول :

(٨١) العنكبوت ٨٣

(٨٢) من ٨٢

من في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتفاوتت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والتفاوت في السعادة لا يدخل تحت الحصر ، كما تفاوتوا في السعادة الدنيا وشقاوتها . ولا تفارق الآخرة في هذا المعنى البتة ، فإن مذهب الملك والملوك واحد لا شريك له ، وسنة الصادرة عن إرادته الأثرية مطردة لا تبدل لها ، إلا أن إب عجزنا عن إحصاء آحاد المرحاب ، فلا نعجز عن إحصاء الأعداء من معول .

أقسام الناس في الآخرة

الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم ، فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلع بعضهم فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون . فإن كان الملك عادلاً ، لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق ، فلا يقتل إلا جاحداً لاستحقاق الملك معانداً له في أصل الدولة . ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته . ولا يخلع إلا معترفاً له بربوبية الملك ، لكنه لم يقصر ليعذب ولم يقدم ليخلع عليه . ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة ، ثم ينسى أن تكون صلح الفائزين مساوية الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة ، وإعلاء الهالكين إما تخفيفاً بحر الرقة ، أو تنكيلاً بالمشة ، بحسب درجاتهم في المعاندة ، وتعذيب المعذبين في الخدمة ، والشدة ، وطول المدة وقصرها ، واتحاد أنواعها واختلافها ، بحسب درجات تقصيرهم .

فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر . فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون . فمن هالك ، ومن معذب مدة ، ومن ناج يخلع في دار السلامة . ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يخلعون في جنات عدن ، أو جنات المأوى أو جنات الفردوس . والمعذبون

ينقسمون إلى من يعذب قليلاً ، وإلى من يعذب ألف سنة إلى مئة آلاف سنة ، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الحديث (٨٢) . وكذلك الهالكون الأيسر من رحمته الله تتفاوت درجاتهم . وهذه المراتب بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي ، فلندكر كيفية توزيعها عليها رتبة الهالكين :

الرتبة الأولى : وهي رتبة الهالكين . وهي بائس من البائسين من رحمته الله تعالى ، إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربه آيس من رضا الملك وإكرامه ، فلا تغفل عن معاني المثل . وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين ، المتجردين للدنيا ، المكذبين بالله ورسمه وكتبه . فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والظفر إلى وجهه ، وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يمر بها بالإيمان والتصديق . والجاحدون هم مكرون . والمكذبون هم الأيسر من رحمته الله تعالى أبد الآباء ، وهم الذين يكذبون برب العالمين ، وأنبيائه المرسلين ، إنهم عن ربه يومئذ لمحجوبون لا محالة ، وكل محجوب عن محبوبه فمحجوب عنه وبين ما يشبهه لا محالة . فهو لا هيلة يكون مختزلاً لرجل جهنم بدار العراف . ولذلك قال العارفون : ليس حوصاً من دار جهنم ، ولا راحة للحور العين ، وإنما مطلباً للقاء ، ومهرتاً من الحجاب فقط ، وقالوا : من يعبد الله بموض فهو لهيم ، كأن يعبده لطلب جنته . أو لحب ما به بل العارف يعبده بداته . فلا يعبد إلا ذاته فقط . وفي الحور العين والعراكة ، فقد لا يشتهيها . وأما النار ، فقد لا يتقها . إذ نكر العراق إذا استولت ربما غلت النار المحرقة للأجسام . فإن نار العراق نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأقدار . ونار جهنم

(٨٢) حدث أن آخر من يخرج من النار يعذب مئة آلاف سنة : الفردوس يشك في يوم الأمل من ... أن مره ... حبيب في حديث قال فيه وأطروهم مائة ألف سنة من يوم خلق إلى يوم القيامة وذلك مئة آلاف سنة .

لا شغل لها إلا مع الأجسام ، وألم الأجسام يستحق مع ألم الفؤاد ، ولذلك قيل :

وفي فؤاد الحب نار جوى أحمر فار الجميع أبردها

ولا ينبغي أن تتكرر هذا في عالم الآخرة ، إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا ، فقد روي من غلب عليه الوجد فعدا على النار ، وعلى أصول القصب المجارحة للقدم ، وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه . وترى الغصبان يستولى عليه الغضب في القتال ، فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بهلق الحال ، لأن الغضب يورث الغضب . قال رسول الله ﷺ : **الغضب قطعة من النار** ، واحترق الفؤاد أشد من احترق الأجساد ، والأشد بطل الإحساس بالأضعف كما تراه ، وليس فلاك من الدار والسيف ، إلا من حيث إنه يفرق بين جزأين . يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام . فالذي يفرق بين القلب وبين عيوبه لدى يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام ، فهو أشد إيلاماً إن كنت من أبواب البصائر وأرباب القلوب . ولا يعد أن لا يترك من لا قلب له شدة هذا الألم ، ويستحقه بالإضافة إلى ألم الجسم . فالصبي لو غمر به ألم الحرمان عن الكرة والصولجان . وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان ، لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ، ولم يعد ذلك لما ، وقال . العنوي المبداء مع الصولجان ، أحب إلي من ألف سرير لسلطان مع الخنوس عليه . بل من تعلبه شهوة البطل . ورحم بين شهوة وحبوة ، وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ، ويفرح به الأصدقاء ، لأثر الشهوة والخلوة .

وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً ، ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذياً . وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسياح ، ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يناسبها ولا يلائمها إلا القرب من رب العالمين ، ولا يؤمنها إلا البعد والحباب . وكما لا يكون النوى إلا في السان .

(٨٤) حديث الغضب قطعة من النار . فخرماني من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

والسمع إلا في الآذان ، فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب . من لا قلب له ليس له هذا الحس ، كمن لا سمع له ولا بصر له . لفة الأذن ، وحس الصور والأنوار . وليس لكن إسد قلب . وإن كان له صح فوله تعالى ﴿ **إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾ (٨٥) . من م يتذكر بانقراض معصية من القلب . وليست أعنى بالقلب هنا الذي تقسمه عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذي هو من عالم الأمر . وهو اللحم الذي هو من عالم الخلق حرشه ، والصدر كرسية ، وسائر الأعضاء عائله وملاجه والله الخلق والأمر جميعاً . وبكى ذلك السر ليدي قال الله تعالى فيه ﴿ **قُلْ لِرُوحٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ (٨٦) هو الأمر والمملك : لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق نيباً ، وعالم الأمر أمر على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد ، من عرقها فقد عرق نفسه ومن عرق نفسه فقد عرق ربه

وعند ذلك يشم العبد مبادئ ورائح المعنى المطوى تحت قوله ﷺ : **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آقَمَ عَلَى صُورَتِهِ** ، ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه ، وإلى المتعسف في طريق تأويله وإن كانت رحمة للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسف في التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة ، ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر . فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وهو حكمته يختص بها من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

ولنعد إلى الغرض ، فقد أرغبنا الطول وطولنا النفس ، في أمر هو أجل من علوم المعاملات التي تقصدها في هذا الكتاب . فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله ورسوله ﷺ لا تدخل تحت الحصر ، فلذلك لم نورد لها .

الرتبة الثانية : رتبة المذنبين . وهذه رتبة من غلب بأصل الإيمان ، ولكن قصر في الوفاء ، فإن رأس الإيمان هو التوحيد ، وهو أن لا يعبد إلا الله . ومن

اتبع هواه فقد اتعد إليه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا إله إلا الله ، معنى قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٨٧) وهو أن تدرك الكلية غير الله ، ومعنى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾^(٨٨) وما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من سحر ، وأحد من السيف ، مثل الصراط الموصوف في الآخرة ، فلا يهلك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير ، إذ لا يخلو عن قباح الهوى ولو في أمر قليل ، وذلك قادح في كمال التوحيد ، بقدر ميله عن الصراط المستقيم . لذلك يقتضى لا محالة نقصاناً في درجات القرب ، ومع كل قصار ناراً : ناز الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ، ونار جهنم كما وصفها القرآن . فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وحسنه ، وتفاوته بحسب طول امدته ، إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقلة .

وإذ لا يخفى بشرى في غالب الأمر عن واحد من الأمرين ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا زُرَّادُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نَعْنَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَلَّوْا الظَّالِمِينَ فَمَا جِئْنَا ﴾^(٨٩) ولذلك قال المخالفون من السلف ، إنما خوفنا لأن نبعث أنا على النار وردود ، وشككنا في السجدة . وما روى الحسن الخضر الوليد^(٩٠) فحين يخرج من النار بعد ألف عام . وأنه ينادى يا حنان يا منان . قال الحسن : يا ليتنى كنت ذلك الرجل

وأعلم أن في الأخبار ما يدل على أن أبخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن الاختلاف في امدته بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة ، حتى قد يبرز بعضهم على النار كبرق خاطف ، ولا يكون له فيها لبث . وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة ، من اليوم ، والأسبوع ، والشهر ، وسائر المدد .

(٨٧) الأسماء ٩١ : فصلت ٣٠ : (٨٨) مريم ٧١ : (٨٩) مريم ٧٢ : (٩٠) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان : أحمد وأبو يعلى من رواية أبي قتادة السلمي عن أنس وأبو قتادة السلمي وأحمد بن حنبل بن مهرون

وير الاختلاف بالشدة لا بهاية لأعلاه ، وأدناه بحيث يندفع في الحساب ، كما أن المثل قد يعذب بعض المتقصرين في العمل بالداقنة في الحساب ، ثم يعفو . وقد يضرب بالسياط ، وقد يعذب به آخر من العذاب .

ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة ، وهو اختلاف لأبواب إذ ليس من يعذب بمصادرة مثل فقط . كمن يعذب بأخذ المال ، وقهر الولد واستباحة الحرم ، وتعذيب الأقارب ، وعصيان ، وقطع اللسان ، واليد ، والأف ، والأذن وغيره . فهذه الاختلافات تنسب في عذاب الآخرة ، في سببها فواضع شرع . وهي حسب اختلاف قوة . وضعفه . كرهه . تصدق . وقتب . كثرة نسيب . وقتب .

أما شدة العذاب فيشده قبح السيئات وكبرها . وأما كثرة فيكفرها . وأما اختلاف أنواعها فياختلاف أنواع السيئات . انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان ، وهو المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا وَدَّكَ بِظُلَامٍ لَعْنِيدٍ ﴾^(٩١) ويقول تعالى ﴿ لِيَوْمَ تَجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾^(٩٢) ويقول تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾^(٩٣) ويقول تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾^(٩٤) إلى غير ذلك مما ورد في الكتب وسه . من كون العقاب و . ب حرار عن الأعمال . وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه . وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبياً عليه السلام^(٩٥) « مَبْتُحٌ رَحْمَتِي فَغُضِبِي » وقال تعالى ﴿ وَإِنْ لَكَ حَسَنَةٌ فُضَاعِلُهَا وَتُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٩٦) فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات ، معبومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً . ومستنده ظواهر الأخبار وروى حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار .

(٩١) فصل ١٦ : (٩٢) مريم ١٦ : (٩٣) مريم ١٦ : (٩٤) مريم ١٦ : (٩٥) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان : أحمد وأبو يعلى من رواية أبي قتادة السلمي عن أنس وأبو قتادة السلمي وأحمد بن حنبل بن مهرون

فقول كل من أحكم أصل الإيمان، واجتنب الخبيث الكبار، وأحسن جميع
الفرائض، أعنى الأركان الخمسة، ولم يكن منه إلا صلاته مصرفة لم يصرف
عيب، فينبه أن يكون عذبه المصفاة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب
رحمت حالته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس،
وجمعة وصوم رمضان، كفرت ما بين. وكذا احتساب لكثير بحكم
بعض القرآن مكفر للصغائر. وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع
العذاب. وكل من هذا حاله فقد تقبّل مواريه فينبى أن يكون بعد ظهور
الرجحان في الميزان، وبعد الفراغ من الحساب، في عيشة راضية. نعم:
لتعاقبه بأصحاب الجن، والمقربين، وغروله في جنات عدن، أو في الفردوس
الأعلى، فكذلك يتبع أصناف، لإيمره، لأن الإيمان يمدد. تقبلى كبرياء
العوالم، يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه، وإيمان كشمى يحصل
بإشراح الصدر بتور الله، حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه
متضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى
وصفاته وأفعاله. فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم
على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون،
ومهم من دوسهم، وتعاونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى؛ ودرجات
المعارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر، إذ الإحاطة بكنهه جلال الله غير
ممكنة، وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق، وإنما يفرغ فيه الفواصق بقلوب
قواهم، ويقبل ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل. فبطريق إلى الله تعالى
لأنه لا نهاية لمازله فالساكنون سبيل الله لا نهاية لفرجاتهم.

وأما المؤمن إيماناً تقديماً من أصحاب الجن. ودرجته دون درجة
المقربين. وهم أيضاً على درجات. فالأعلى من درجات أصحاب الجن تقارب
رتبه رتبة الأعلى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر، وأدى
الفرائض كلها. أعنى الأركان الخمسة، التي هي النطق بكلمة الشهادة
باللسان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر، أو أهمل بعض أركان الإسلام. فإن تاب

توبة نصوحاً قبل قرب الأجل، التحق به. يرتكب. لأن تائب من الذنوب
كمن لا ذنب له والذنوب المصولة كاللحم. يوسع أصلاً.

وإن مات قبل التوبة، فهذا أمر يخطر على لوت. إذ ربما يكون موته هل
الإصرار سيئاً لتزلزل إيمانه، فيختم له به. تحتاجه لاسيما إذا كان إيمانه
تقليدياً، فإن التقليد وإن كان جزءاً فهو في العمل بأدلى شك وخيال
والمعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء. كلاهما إن ماتا على الإيمان
بعدان، إلا أن يعرف الله، عذاباً على حساب ردة في الحساب. ونكون كثرة
العقاب من حيث المدة، بحسب كثرة ما إصرار. ومن حيث الشدة،
بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف. ع. بحسب اختلاف أصناف
السيئات. وبعد انقضاء مدة الحساب في البلد المقتلون في درجات
أصحاب الجن، والمعارفون المستبصرون في أعلى عليين. ففي الخبر (٩٧) «ما يخرج
من يخرج من النار يغطي مثل الدنيا كلها مرة أصعاب» فلا تنص أن المراد
به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كذا. بل فرسخ بفرسخين، أو عشرة
بعشرين، فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال. بل هذا كقول القائل: أحد
منه جهلاً وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجمل مائة عشرة دانير، فأعطاه مائة
دينار. فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في النور، تنقل، فلا تكون مائة دينار لو
وصحت في كفة الميزان، والجمل في الكفة الأخرى، عشر عشرة. بل هو
موازنة صفات الأجسام وأرواحها، دون أشخاصها وهياكلها، فإن الجمل
لا يقصد لشكله، وطوله وعرضه ومساحته، بل لمابه مروحة المائلة،
وجسمه اللحم والدم، ومائة دينار عشرة أمه، بالموازنة الروحانية، لا بالموازنة
الجسمانية. وهذا صادق عند من يعرف روحانية من الذهب أو الفضة من
لو أعطاه جوهرة وربما مثقال، وقيمتها مائة دينار، وقال أعطته عشرة أمثاله
كان صادقاً. ولكن لا يدرك صدقه إلا جوهرية. فإن روح الجوهرة
لا تترك بمجرد البصر، بل بغضنة أخرى وراء البصر. فذلك يكذب به

(٩٧) حديث إن يخرج من النار يغطي مثل الدنيا كلها عشرة أصناف: ينطق عليه من حديث
ابن مسعود.

والتصدي لكل إليه ، إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل
سفل . وحدث قل تعالى ﴿ وَلَوْ كُنَّا إِذِ الْفُجُورِ نَاكِسِي رُءُوسِهِمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ ﴾ . أي أنهم عند ربهم إلا أنهم مكوسون ، قد انقلب وجوههم إلى
أفقيهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل ، وذلك حكم الله
فيمس حرمة توبيخه ، ولم يده طريقه ، فعمود بالله من الصلال ، والبرول إلى
سازل الجبال

فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ، ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو
أكثر . ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه
لا إله إلا الله ، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة ، فلا يسمع إلا في عالم الملك ،
فيدفع السيف عن رقبتة ، وأيدي الغائبين عن ماله ، ومدة الرقبة والمال مدة
الحياة . فحيث لا تبقى رقبة ولا مال ، لا يسمع القول باللسان . وإنما يسمع
الصدق في التوحيد . وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله وعلامته
أن لا يعصب على أحد من الخلق بما يجري عليه ، إذ لا يرى الوسائط ، وإنما
يرى سبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل . وهذا التوحيد متفاوت . فليس
الناس من له من التوحيد مثل الجبال ، ومنهم من له مثقال ، ومنهم من له مقدار
خرقة وحرة . فليس في قلبه مثقال دينار من إيمان ، فهو أول من يخرج من النار .
وفي الخبر يقال ^(١٠١) : « أُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ »
وآخر من يخرج من في قلبه مثقال درة من إيمان . ومن بين المثقل والبدية على
قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقل وبين طبقة الدرّة ، والموازنة
بالمثقل والدرّة على سبيل ضرب المثل ، كما ذكرنا في موازنة بين أعين الأموال
وبين النقود . وأكثر ما يدخل الموحدين النار مقام العباد . فديوان العباد هو
الدعوان الذي لا يترك . فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها . فمن
الأمر أن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، ثم
سقط له لكأن من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المظالم ، فيكون قد سب عرض

(١٠٢) السجدة

(١٠٣) حديث أخرجه من النار في قلبه مثقال دينار من إيمان - الحديث تقدم

هذه . وأحد من هذه ، وحسب هذا فيشعر . حسانه حتى لا يهمل
حسنة ، فتقول ملائكة بارئ هذا قد فعل حسنة ، وبني صبور كبير
فقول الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ سِتْرِكَ عَلَى سَبِيلٍ ﴾ . وحسبوا له حسنة إلى النار
وكا بهلك من سبب غيره بصرخ القصاص فكذلك ينجز المظلول حسنة
عدم ، إذ يصح فيه خوف عاصمه له . وقد حكى عن ابن الجلاء ، أن بعض
إخوته اعتبه . ثم أرسى إليه يسحه . فقل : لا أفعل ليس في صحيفتي
حسنة أفضل منها فكيف يحبه ؟ وقال : وعيره : ذنوب إخواني من
حسابي . أي أن أرسى بها صحيفتي .

فهذه مآزداً ذكره من اختلاف العبد في لمعاد في درجات السعادة
وسنذكره . وكل ذلك حكمه من سبب ، وهو حكم الصيب على مريض
شبه يموت لا يحاله لا يسر ولا يح . وعلى من آخر بأن عارضة تخفيف
وعلاجه حين . فحدث ض ينسب في أكد لأحوال . ولكن قد تنوق إلى
المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر العيب ، وقد يساق إلى دى
العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه . وحدث من أمر رب الله تعالى
الحقبة في أرواح الأحياء وعموض الأسباب في رتبها مسبب الأسباب بقدر
معوم . إذ ليس في قوة البشر الوقوف على دنها ، فكذلك الحجة والبرز في
الأخرة لما أسباب خفية ، ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . يعبر عن ذلك
السبب الخفى المفقى إلى التحفة بالعمو ورضا ، وعما يعصى إلى الهلاك
بالمعصب ولا يتم . ووراء ذلك سر المشقة لإتية الأريّة ، التي لا يصع الخلق
عليها . فذلك يجب عليها أن تجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته
الظاهرة ، والنفس على الطبع وإن كثرت مهابته البظاهرة . من الاعتدال على
لتنوى من التقوى لا تغيب . وهو أغمض من أن يطبع عليه صاحبه ، فكيف
غيره ! ولكن قد اكتشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفى
فيه يقتضى العفو ، ولا غصب إلا بسبب يرضى الله تعالى .
ولولا ذلك لم يكن العفو والغصب جزاء على لأعمال والأوصاف ، ولو لم يكن
جزاء لم يكن عدلاً ، ولو لم يكن عدلاً لم يصح قوله تعالى ﴿ وَمَا زُنْتُ بِظُلْمٍ ﴾

البحر عنه في هذا العلم . فهو الذي أحله قوه تعالى ﴿ قَلَّا نَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١١) وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . والعارفين مطيعهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الحور ، والقصور ، والفاكهة واللبن ، والعسل والخمر ، والحنى والأساور ، فإيهم لا يحرصون عليها ، ولو أعطوها لم يقموا بها . ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم ، فهي غاية السعادات ، ونهاية اللذات ولذلك قيل لراحة العبدية رحمة الله عليها : كيف رغبتك في الجنة ؟ فقالت الجارية الدار . فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار ورغبتا ، بل عن كل شيء سواه ، حتى عن أنفسهم . ومثاقم مثال العاشق المستتر بمشوقه ، المسترق همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه ، فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه

في تلك ويحس من هذه الحالة بأنه في عن نفسه . ومما أنه صار مستغرقاً بغيره ، وصارت محبته هي واحداً وهو محبوه ، ولم يبق فيه متسع لمحور محبوه حتى بلغت إليه ، لا لنفسه ولا غير نفسه . وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر ، كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والأشكال على قلب الأصم والأكمه ، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ، ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته ، فالدنيا حجاب على التحقيق ، وبرفعه يكشف إعطاء ، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة ، وأن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون .

بهذا القدر كاف في بيان تدرج الدرجات على الحسنة ، والله الموفق بلطفه .



الفصل الرابع بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب : منها الإحسان والمواظبة . وذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار . فكبيرة واحدة تنصرم (١١) ولا يقيمها مثلها لو تصرف ذلك ، كان الصغائر أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها . ومثال ذلك قطرات من الماء تقع من الحجر على قوال متوثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة يمتزج . ولذلك قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الْأَعْمَالِ أَقْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ » . أي شيء تستبأن بأخذها . وإن كان النافع من العمل هو الدوام وإن قل ، فالصغائر المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام النفس .

إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بعد من غير سواها ولو اهتم من جملة الصغائر قلما يزدى للزنى بختة من غير مبلودة ومقدمات . وقيلما يقتل بختة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة . فكبر كبيرة تكتمها صغائر سابقة ولا حقة . ولو تصورت كبيرة وحدها بختة ، وبعق إليها هود ، رى كان المعور بها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عنه ..

(١١) تنصرم : يمتزج .
(١٢) حديث غير الأعمال لومها وقد قيل : من عرف الله من حيث فاته لم يزل أحب وقد تقدم

استصغار الذنوب

ومما قد يستصغر الذنوب ، فإن الذنوب كلها يستعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استصغاره عند الله تعالى هو القليل عنه ، وكراهيته له . وذلك النقص يجمع من شدة أثره به واستصغاره يصدر عن الألف به ، وذلك يوجب شدة أثره في غيب القلب من استصغاره بتوحيده يقلصه وتوحيده يسويه بالنسبة . وذلك لا يؤخر في حركته عليه في المعنى ، فإن القلب لا يثرب في حركته في المعنى وقد جاء في الحديث : **«الْمُؤْمِنُ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَجَلٍ فَوْقَهُ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَلَفَاقٌ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَطَارَهُ»**

وقال بعضهم الذنوب تزداد لا يعبر ، فمن العبد بيت كل ذنوب غمسه من هذا . وإنما يعظم الذنوب في قلب المؤمن غمسه جازاً الله . وقد يعبر إلى غمسه من عصى به ، رأى الصغرة كبرية . وقد لوحى الله تعالى إلى بعض نبياته لا تنظر إلى فقهه ، وانظر إلى غمسه مبهمة . ولا تنظر إلى صغر الخبيثة ، وانظر إلى كبريائه من واجهته بها . وهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغرة ، بل كل مخالفة فهي كبرية وكذلك قال بعض الصالحين وقضى الله عليهم لتدبيرهم . وبكم تعملون أعداء هي في أعينكم ذوي من شعر ، كما تعذراً على عهد رسول الله ﷺ من المواقف . إذ كانت معرفة الصغرة بحلال الله ثم ، فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبار . وهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ، ويتجاوز من العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الذنوب والمخافة يكثر بتقدير معرفة المخالف

(١١٣) حديث ترمذي يروي فيه كاحي يوفى . الحديث من رواية الحديث من سوية قال حديث وحديث لله أفرح بتوبه العبد ومريه من موقوف . ١١٤ . الحديث في السب من هذا الوجه هو قوله ما مرفوع

السرور بالصغرة

ومما سرور بالصغرة . ويرجع وسبح . وعناد النكس من ذلك . ومنه . ومنه عن كونه من الصغرة . فكذلك . من حلال الصغرة عند العبد كبر صغره وعنده أنه في سوية . حتى أن من العبد من يتصدق به ويصح به . شدة راحة نفسه . كما يقول أما رأيي كيف مزق عرسه ؟ ويصير مدح في حديثه . أما رأيي كيف قصحه ؟ وكيف ذكرت مساويه حتى تحججه ؟ وكيف تحججت به ؟ وكيف يست عنه ؟ يقول بعض في حديثه . أما رأيي كيف راح عليه الرائف ؟ وكيف حدثه ؟ وكيف عنه في حديثه ؟ وكيف تحججه ؟ عهد ومثاله بكر به بصغره ، فإن ذنوب مبهمة . وقد دفع بها . وصغر سيئاته في الحمل عينا ، فيسمى أن يكون في معية وتونس بسبب غيبة العبد عنه . وسبب بعده من الله تعالى . قلل بعض الذي يصرح بأن ينكسر إتاؤه الذي فيه دونه . حتى يحصل من أنه شريه ، لا يخرج من سائر

التهاون بستر الله وحلمه

ومما أن يتهاون بستر الله عليه ، وحلمه عنه ، وإمهاله إياه ، ولا يدرى أنه إنما يجهل مقنا ليرداد بالإمهال إنما فيص أن تكفه من المعاصي عامة من الله تعالى به . فكذلك ذلك لأنه من مكر الله . وحبه منك من العبد . والله ، كما قال تعالى **«وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَقُولَا بِعَدَاةٍ لَنَا بِهِمَا نَقُولُ حَسْبُنَا جَهَنَّمُ بَصَائِرُ فِيهِنَّ الْمُصِيرُ»**

(١١٤) الصحيح الفجر

(١١٥) مخرجه الذنوب . بشرى . كتبها

(١١٦) حديثه

إعلان الذنب

ومما أن يأتى الذنب ويصير، أن يذكره بعد إتيانه أو يأتى في مشهد غيره. وفي ذلك حكمة من على سر الله لدى مدته^(١١٧) عليه، وتحريك لرغبة البشر فيه، أو شهده معه فيما حايك انصت إلى حديه، فصبت به، فإن انصاف إلى ذلك العرب سعيه في والحق عليه، وتبينه الأسباب، صارت حديه رابعة، وبعد حشر الأمر وفي الخير^(١١٨) كل الناس معافى إلا المجرمين يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عنه فيصيح فيكشف ستر الله ويتحدث بدله، وهذا لأن من صدق الله ووعده أنه يظهر خبيث ويسر نقيح، ولا يبيت ستر بالإظهار كمران هذه العمة وقد بعصم لا نذب في كل ولا بدعلا ترعب عرك فيه فذنب دبير، ولدنث قال تعالى ﴿الْمُافِقُونَ وَالْمُافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(١١٩) وقد بعض السلب، ما تنكح المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعد على معصية، ثم يهونها عليه.

ومما أن يكون المذنب علماً يقتدى به، فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم، وركوبه مراكب الذهب، وأخذته مال الشبهة من أموال السلاطين، ودخوله على السلاطين، وتردده عليهم، ومساعدته لإهم بترك الإنكار عليهم، وإطلاق اللسان في الأعراس وتعديه باللسان في المناظرة، وقصده الاستحقاق، واشتغاله من العنوم بما لا يقصد منه إلا الجلاء، كعلم الجلس والمناظرة، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها، هيوت العالم ويقف شره

(١١٧) سئل المتر عليه: أرعاه وأرسله

(١١٨) حديث كل الناس شمال إلا المجرمين - الحديث - متفق عليه من حديث أبي هريرة بنقط كل أمتي وقد تقدم

والمجاهرون: المنبر، للسمع

(١١٩) الآية ٦٧

مسطراً في العلم امام منظومه صطوي، لمن في ملك ماتت ذنوبه معه، وفي الخير^(١٢٠) من سن سنة سيئة صيته ويزرها يبرز من عيل بها لا يتفص من أوزارهم شيئاً، وفي سن ﴿وَتَكْتَبُ مَا قَامُوا وَأَقَارَهُمْ﴾^(١٢١) والآ، ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعلم.

وفي ابن عباس: وفي لعم من الأتباع، من رلة هرجع عنها، وحملها الناس فيدهبون بها في لأوق. وقد بعصم مثل رلة العالم مثل انكسار السمية تعري ويعرق هبة. وفي لإسراييل: أن عبداً كان يعسل الدس ببدعة، ثم أدركته توبة، فعلى في الإصلاح دهره، فأوحى الله تعالى له: فليهم فلي به يرحم لو كان فيما بين وبين عصيته من وكس كيف لم أنصت من عدوى فأنصت إليه. وفي يده يده: أمر العنماء محط، فعليه وظيفتان لإحداهما: ترك الذنب، والأخرى: حمده. وكما نصاعف أورارهم على الذنوب، فكذلك يتصاعف ثوابهم على حسن إد نهم فرك الحسن والميل إلى الدب، وقع من باليسر وعن عمام بالقوت، ومن الكسوة بالخل، فشح عليه ويقتدى به العشاء والحره، فيكون له مثل ثوبهم ومن مل إلى الحسن، ماتت طمع من توبه إلى الشبه، ولا يقدر على الحمل إلا بخدمة السلاطين، وجمع حظه من الخراء، وحين هو سب في جميع ذنوب فحركات العنماء في صوري ابراهيم وسعصع، صدعف آثارها، إذ بالريح، وإما بالخسران: وهذا القدر كاف في تعافيه لذنوب التي التوبة توبة عنها.



(١٢٠) حديث من من سنة سيئة صيته يبرزها ويبرز من حيا - الحديث - مسلم من حديث جرير ابن عبد الله وقد تقدم في ادغيب الكتب.

(١٢١) يس: ١٢١

الركن الثالث

في تمام التوبة وشروطها ودوامها
إلى آخر العسر

- بيان شروط التوبة ودوامها .
- بيان كيفية تدارك ما مضى من المصّر .
- بيان طريق كل نائب في رد المظالم .
- بيان أقسام التائبين في دوام لتوبة .
- بيان ما ينبغي أن يبادر إليه النائب - حري عليه ذلك إما عن قصد وشهرة غالية ، أو عن إلحاح نكس الاتفاق .
- ثمرة التوبة .



الفصل الأول

بيان شروط التوبة ودوامها

تمهيد :

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا . وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلًا بينه وبين محبوبه . ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وثبات . ولتمامها علامة ، ولدوامها شروط . فلا بد من بيانها .

أما العلم فالنظر فيه نظر إلى سبب التوبة وسببها . وأما الندم : فهو توجع القلب عند شعوره بغوات المصروب وعلامته طول الحسرة ، والحزن ، وانسكاب الدمع ، وطول البكاء والمكر . فمن استشعر عقوبة مآلة بولده أو بهمن أعزته ، طال عليه مصيبته وبكائه . وأى عزيز أمر عليه من نفسه ، وأى عقوبة أشد من النار ، وأى شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأى خير أصدق من الله ورسوله ! ولو حدثته إنسان واحد يسمى صبيًا ، أن مرضى ولده المريض لا يبرأ ، وأنه سيصير منه لعل في الحال حربه . فليس ولده بأعز من نفسه ، ولا الطيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ، ولا نبوت بأشد من النار ، ولا للمرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى ، والتعرض بها للنار . فأنم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى . فعلامة صحة

الدم رقة القلب ، وحرارة الدمع . وفي الخبر ^(١٢٢) : « جالسوا التوابين فابتهم أرقى أفقده » .

ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الدنوب في قلبه بدلاً عن حللها ، فيستدل بالليل كرمية ، وبالزينة نفرة . وفي الأساليب أن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ، وقد سأله قبول توبة عبد ، بعد أن اجتهد سين في عبادة ولم ير من توبته مقل وعرق وجلال ، لو شمع فيه أهل السموات والأرض ما صبت توبته ، وحلوه دمع الدنوب الذي تاب منه في قلبه . فإن قست فالدنوب هي أعصاب مشبهة بالطبع ، فكيف يجد مراعتها .

فأقول : من تناول عسلًا كان فيه سم ، ولم يدركه بالدوق ، واستنذه ، ثم مرض وحاد مرضه والله ، وتناثر شعره ، وفلجت أعضاؤه ^(١٢٣) ، يود قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم ، وهو في عيادة الجوع والشهوة للحلاوة ، فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت لا ، فهو جحد للمشاهدة والضرورة . بل ربما تنفر من العسل الذي ليس فيه سم أيضاً ، لشبهه به : فوجد أن الثائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل ، وعمله عمل السم . ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان . ولما عثر مثل هذا الإيمان عزت التوبة والثابون فلا ترى إلا معرضاً عن الله تعالى ، متهاوناً بالدنوب ، مصرّاً عليه . مهد مشرّح مد الدم ويسمى أن يدوم إلى الموت . ويهين أن يجد هذه المرارة في جميع الدنوب ، وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل ، كما يجد متناول السم في العسل اللف من الماء البارد ، مهما علم أن فيه مثل ذلك السم ، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر الثائب من سرقته ورواه من حيث أنه سرقه وربما ، بل من حيث إنه يخالفه أمر الله تعالى ، وذلك جار في كل ذنب .

(١٢٢) حديث جالسوا التوابين فابتهم أرق أفقده . لم أجده مرفوعاً وهو من قول عروة بن عبد الله بن زبارة . ابن أبي الدنيا في التوبة قال جالسوا التوابين فإن رجعت الله إلى التائب وقال أيضاً فلو عظة إلى كل يوم أسرع وهم إلى رقة القلب وقال أيضاً فلو أسرع جمعة وأرق قلباً .
(١٢٣) أصابها الفالج وهو فاء يحدث في أحد شقي البدن فيعطى إحساسه وحركته (الشلل النصفي) مثلاً



الفصل الثامن

بيان كيفية تدارك ما فات

وأما القصد الذي ينبعث منه ، وهو إرادة ترك ، فله تعلق بالحال ، وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له ، وأدرك كل فرض هو متوجه عنه في الحال . وله تعلق بالمعاصي ، وهو تدارك ما فرط . والمستقبل ، وهو دوام الطاعة ، ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشرط حسب فيما يتعلق بالمعاصي ، أن يرد فكره إلى آو يوم بلغ فيه بالمس أو الاحتلام . ويبحث عما مضى من عمره سنة ، وشهراً شهراً ، ويوماً يوماً ، ومساءً مساءً . ويصر إلى الطاعات ما أدى قصر فيه منها ، وإلى المعاصي ما الذي فرقه من

كيفية التوبة من ترك الصلاة أو فسادها

فإن كان قد ترك صلاة ، أو صلاها في ترب محس ، أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط البية . فيقتضيها عن آخرها . فإن شئت في عدد ما فات . منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ، ويقضى الباقي . ولو أن يأخذ فيه بمطالب الظن ، ويحصل إليه عن سبيل التضرع والاجتهاد

التوبة من ترك الصوم

وأما الصوم ، فإن كان قد تركه في سقر ولا يقضه ، أو أفطر عمداً ، أو نسي البه بالليل ولم يقض ، فيتعرف مجموع ذنوبه بالتضرع والاجتهاد ، ويشغل يقضه

التوبة من ترك الزكاة

وأما الزكاة، فيحسب جميع ماله، وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ، فإن الزكاة واجبة في مال الصبي: فيؤدى ما عزم به غالب الظن أنه في دمه. إن أفاء لا عن وجه يوافق مذهبه، بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية، لم يخرج البطل وهو عن مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، ففقط جميع ذلك، فإن ذلك لا يميزه أصلاً وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يصح. انتج به إن تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء.

التوبة من ترك الحج

وأما الحج، فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يصح له الخروج، والآن قد أغلقت عليه الخروج، فإن لم يقدر مع الإفلاس، فعليه أن يكسب من الحلال قدر الراد. فإن لم يكن له كسب ولا مال، فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يبح به، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصياً قال عنه سلام: "من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً". وإن شاة نصراًياً، والمجز الصاريء بعد القسرة لا يسقط عنه حج فهد طريق تفتيشه عن الصاعقات وتداركها.

التوبة من المعاصي

وأما للمعاصي، فيجب أن يقتش من أول بلوغه عن سمعه، وبصره، ولسانه، وبطنه، ويده، ورجله، وفرجه، وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أزمه وساعاته، ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه، حتى يطلع على جميعها صحتها وكبائرها، ثم ينظر فيها.



(١٢٤) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً — الحديث — تقدم في الحج



الفصل الثالث

بيان طريق كل قائب إلى رد المظالم

المعاصي التي بين العبد وبين الله

فما كان من ذلك بين وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد، كنصر إلى غير محرم، وقعود في مسجد مع خنابة، ومن مصحف بغير وصوء، واعتقاد بدعة، وشرب خمر وسجّ بلاه، وغير ذلك ما لا يتعلق بمظالم العباد، فالتوبة عنها بالنسبة وتحتصر عن، وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المسعة، ويطلب بكل ممعة من حصة نفسه. فإن من الحسنات بمقدار تلك السيئات، أحداً من مائة ^(١٢٥)، اتقى الله خيئ كنت وأتبع السيئة الحسنة تشبهاً، بل من قوله عن ^(١٢٦)، إن الحسنات يذهبن السيئات ^(١٢٧)، فكثير من معاصي ^(١٢٨)، ومن حسن ^(١٢٩)، ويكثر القعود في المسجد حساً بالأعتراف به مع ^(١٣٠)، ويكثر من المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة مراعاة ^(١٣١)، وكثرة تقيده، وإن يكتب مصحفاً ويجمله وفقاً. ويكثر شرب الخمر بالتصدق بشارب حلال، وهو أطيب منه وأحب إليه. وعد جميع المعاصي غير ممكن وإلى المقصود سلوك الطريق المضادة. فإن المرض يمدح بصدقه. فإن ضمة ارتفعت إلى القلب تعصبة. ولا يحورها. لا نور يرتفع إليها بحسب تصددها وتصدت هي المتناسبات. فلذلك ينبغي أن تعنى كل سيرة بخسنة من جسدتها لكن تضادها

(١٢٥) حديث أتى الله حيناً كذا وتبع السيئة الحسنة تشبهاً — الحديث — من حيث لا يدرك وصححه
وعنده أنه في أدب الكتاب، بعضه في تواتر التوبة ومعه في غيره غير
(١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) —

فهو يبصر بطلان بالسوء لا بخيراته وجروده. وهذا التدرج والتحقيق من
النصف في طريق الحق والرجاء فيه أصدق، والثقة به أكثر من أن يطلب على نوع
وحد من العبد، وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في عوهمها حكم ما يشاء وبين
الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بعبده أن حب الله رأس كل حقيقة،
وأن اتباع الله في القلب سرور بها. والحق فيها فلا جرم كان كل أدى
بعبادته يستلزم به من الله يكون كفرة له إذا لقلب يتحلى
بصوم وبعبادته عن دار الموت ^{فإن عبادته} من الذنوب ذنوب لا
يكفرها إلا لله الموت، وفي بعض آياته: ^{فإن عبادته} إلا أنهم يطلب المعيشة، وفي حديث
عائشة رضي الله عنها: ^{فإن عبادته} إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال
لنكفرها أدخل الله تعالى عليه الهوم فكون كفرة لذنوبه. وبعد إن الله
أدى به من عن القلب والعبد لا يعرفه هو حصة الذنوب وهذا. وشعور
القلب بوقته حساب وهو المصعب من قبل. هذا الإنسان على بطله وولده
وحده، وهو حقيقة، فكيف يكون كفرة؟

فأعلم أن الحب له خطيئة، والحرمان عنه كفارة. ولو تمتع به لقت الخطيئة
بعد رأى أن حريته عليه السلام، دخل على يوسف عليه السلام في السجن،
فقال: كيف تركت شيخك كتيب؟ فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكل.
من بعد عبد الله؟ قال آخر مائة شهيد ومن الهوم أيضاً مكبرات حقوق
الله بهذا حكمه من بين الله تعالى



(١٢٧) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهوم وفي لفظ آخر إلا الهوم في طلب المعيشة. قلت
وأبو يعقوب في تحليته والخطيئة في التخصيص من حديث أبي هريرة بسند طيف وتقدم الكتاب. (١٢٨)
(١٢٨) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال لنكفرها أدخل الله عليه الهوم: تقدم أيضاً في
الكتاب وهو عند أحمد من حديث عائشة باللفظ سلام الله في حرب

مظالم العباد

وأما مظالم العباد فبها أيضاً معصية وحماية من حو الله تعالى به الله تعالى
من عن ظلمه بعيد أيضاً. وقد يتحقق منه: الله تعالى تتركه باند
والنحر، وتركه مثله في المسيرة، والإيمان. كانت هي ضدده
فيقابل إبداءه الناس بالإحسان. ويكفر صاحب أموره يستحق منك
الحلال ويكفر تاول غرامه بعبادة وتفتح به الله، عن أهل الدين.
وأصهار ما يعرف من حساب آخر من أمره. والله ويكفر من القوم
باعتق بركات لأن ذلك حياة. هذا العبد لله، موحود سيده
والإعناق إهد لا يقدر الإنسان على أكثر منه. من الإعداء بالإبداء ومنها
يعرف أن ما ذكرناه من سوء صيرير المصداق في سكفر وهو مشهود به في
لشرع، حيث كثر أهل بوعى رقة. ثم بعد ذلك كنهه بعبادة
يكفه، ما يخرج عن مظالم العبد. وهذه عبادته في غوس، أو لأموال،
أو الأعرص، أو الصوب شيء به لإبداء المخلص من لغوس، من حرى عبه
قتل خطأ، حوته بتسليم الدية ووصوفه إلى المسحق، ما منه أو من عاقته.
وهو في عهده ذلك قيل توصي. وإن الله عملاً موجباً للقصاص
فالقصاص: فإن لم يعرف فيجب عليه أن يعرف عدو الله، ويحكمه في
روحه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء قتله ولا تسف عهده إلا به. ولا يجوز
له إحصاء وليس هذا كما نرى، أو شرب، أو سرق، أو قلع صريع، أو
بشر ما حب عليه به حد الله تعالى، فإنه لا يبرأ في شوبه أن يعصم نفسه،
ويثبت مشرته ويتنعم من الوالي منيع، حق من تعالى من عبه أن يشتر
بسر الله تعالى، ويقم حد الله على نفسه بأنواع عسدة والسعيه والمعو في
محض حقوق الله تعالى قريب من سائر شامدين فإن رفع أمر هذه إلى الوالي
حتى قوم عليه الحد، وقع موقعه، وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله

تعالى ، بنليل ماروى (١٦٦) أن ماعز بن مالك ، أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إلى قد ظلمت نفسي وزنت ، وإلى أريد أن تطهرني . فرده . فيها كان من العدة أنه قال : يا رسول الله إلى قد زنت . فرده الآية . من كان في الثالثة ، أمر به فحفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم . فكان الناس فيه مريعين فقليل يقول بعد هلك وأحاص به حصيته وقيل يقول ما توبة أصيد من ماله . من رسول الله ﷺ ، لقد ثابت توبة لو قُسمت بين أمة لموسعتهم . وجاءت العامة فدفعت يا رسول الله ، إلى قد ربيت تطهرني . فردها . فلما كان من العدة قالت يا رسول الله ، م بردي ؟ عليك يريد أن ترددي كما رددت ماعزا . فوافقه إلى الحبل . فقال ﷺ : أما الآن فأذهبى حتى تلعني ، فلما ولدت أتت بالعسي في خرقة . فقالت هذا قد ولدت . قال : اذهبي لأزعيجه حتى تقطعيه ، فلما قطعت أتت بالعسي وفي يده كسره . عز ، فقالت يا رب الله ، قد قطعت : وقد أكل الطعام فدفع العسي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجوها . فأقبل خالد بن الوليد بحجر ، رمى رأسها ، فصاح به عن وجهه . فسمع فسمع رسول الله ﷺ به إياها فقال : مهلاً يا عائشة فوالذي نفسي بيده لقد كاثت توبة لو كانتها صاحب مكسر لتغير له ، ثم أمر بها ففصل عليها ودفنت .

وأما القصص وحده القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه . وإن كان المتناول ما لا تناوب به فحصب ، أو خيبة ، أو عين في معاملة مع تبر ، كزوج زاتق ، أو ستر عيب من المبيع ، أو نقص أجرة أجر ، أو مع أخرى . فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه ، بل من أول مدة وجوده . فإن ما يجب في من العسي يجب على العسي إخرجه بعد السوء ، إن كان يور .

(١٦٦) حديث أخرجه ماعز بن مالك ورواه ﷺ حتى يعرف أربعاً وقوله لقد ظلمت نفسي - الحديث : من حديث بريدة بن الحصيب .
وإذا لم يحسنه الطهارة واعتزلها بالثوب ورجعها وقوله ﷺ لقد ثابت توبة - الحديث : من حديث بريدة وهو يصر الذي فيه .

قصر فيه ، فإن لم يفعل كان ظاناً مطالباً به في حدود ماله العسي والبالغ . ولبحاسب نفسه على الحيات والدمائر من أول يوم حياته إلى يوم توبته . قبل أن يحاسب في القيامة . وليأقش قبل أن ياقش من لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في آخرة حسابه . فإن حصل محمد . ما عليه بقى غالب ونوع من الاجتهاد ممكن ، فليكتب ، وليكتب أسامي أصحاب المضام واحداً واحداً ، وليطع في نواحي العالم وليطالبهم ، وليستحلهم . أو ليؤد حقوقهم . وهذه التوبة تشق على الظلمة وعمل التجار ، فإيه لا يسرون على طلب المعامير كنهم ، ولا على طلب ورثتهم . ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يعتبر عليه . فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من حسرات ، حتى تفيض عنه يوم القيامة ، فتؤخذ حسنته وتوضع في موازين أرباب المضام وتكن ككرة حسنته بقدر ككرة مظالمه ، فإنه إن لم تف بها . - ته حمل من سيئات أرباب المضام ، هيلك بسيئات غيره .

فهذا طريق كل طالب في رد المضام . وهو يوجب استمراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف ذلك مما لا يعرف ، وربما يكون الأجل قريباً فيبسى أن يكون تشبهه سمحات والوقت ضيق ، أشد من تشبهه الذي كان في المعاصي في متعب الأوقات . هداً يحكم المضام الثابتة في ذمته . أما أمواله الخاضعة . فليرد إلى مالك ما يعرف له مالاً معيناً وما لا يعرف له مالاً معيناً أن يتصدق به . فإن احتبط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ، ويتصدق بذلت أسرار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرم . وأما الحدية عن القيوب فتأب الناس بما يسوءهم أو يهيب في النية . فيطلب كل من تعرض له بلساته ، أو ذى قلبه بفعل من أعماله ، وليستحل واحداً واحداً منهم . ومن مات أو عت فقد مات أمره ، ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات ، فتؤخذ منه حوضاً في حياة . وأما من زوجته وأحله يعيب نسب منه . فذلت كفرته . وعليه أن يجره قدر جهاته وتعرضه له . فالاستحلال المبهم لا يكفي . وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم يطلب نفسه بالإحلال ، وأدخر ذلك في القيامة فذخيرة يأخذها من حسنته ، أو يحمله

من سيئاته . فإن كان في جملة جنائنه على العبر ما لو ذكره وعرفه لتأدى بحرفته ، كرمه بخاريته أو أهله ، أو نسيته باللسان إلى عيب من عفاها عبوة . معظم أذاه مهما شوله به ، فقد اتسد عليه طريق الاستحلال ، فليس له إلا أن يستحل منها ، ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالمحسبات ، كما يجبر مظلمة الميت والعائب . وأما الذكر والتعريف فهو سبقة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنائنه ، وعرفه اجبى عليه . فلم تسمح نفسه بالاستحلال ، بقيت المعصية عليه . فإن هذا حق . فعليه أن يتلطف به ، ويسعى في مهماته وأعرافه ، ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه . فإن الإنسان عبد الإحسان ، وكل من نقر بسبقة مال بحسنة . فإذا طاب قلبه بكثر تودده وتلطفه ، صححت نفسه بالإحلال . أى إلا الإصرار ، فيكون تلطفه به واعتدائه إليه من جملة حسناته . حتى يمكن أن يجبر بها في القيامة جنائنه . ولكن قدر سميه في فرجة ومروءة قلبه بتودده وتلطفه ، كقدر سميه في أذاه حتى إذا قاوم أحدهما الآخر ، أو زاده عليه . اخذ ذلك منه عوضاً في القيامة يحكم الله به عليه . كمن أتلغ في الدنيا مالا ، فجاء بمثله ، فامتنع من له المال من القول وعن الأبراء ، فإن الحاكم يحكم عليه بالتقصر منه شاء أم أبى .

نجاة المرء برجحان ميزان حسناته

فكذلك يحكم في صعود القيامة أحكم الحاكمين ، أو أعدل المقسطين : وإن المتن عليه من صحيحين ، عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال (١٣) : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أغلظ أهل الأرض فذبح عبي رابعاً فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة قال لا فقتله فكش به مائة ثم سأل عن أغلظ أهل الأرض فذبح على رجل عظيم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول

(١٣) حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أغلظ أهل الأرض فذبح عبي رابعاً فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة قال نعم ومن يحول »

توبة ويش التوبة الطلق إلى أرض كذا وكذا في . ما يغفون الله عز وجل فاعف الله عنهم ولا ترجع إلى أرحك فرب . سوء فالتطيق حتى إذا بصف الطريق أتته الموت وحضت في . الرخصة وملانكة العذاب فقلت ملائكة الرخصة حيا ، قائما فغلبت في الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يفعل خيراً فذبحه ميت في حيا . دمي ففعلوه حكماً منهم فقال قيسوا بين الأرضين فإن أنهيدي في ذبي فهو له قدسوا فوجدوه ذبي إلى الأرض التي أراد فتصنعه ملائكة الرخصة ، وإن به فكان إلى القرية الصائحة أقرب منها بشير فحيا من أهله ، وإن به . فأوحى الله تعالى إلى قلبه أن تهاجدي وإلى خلد . فترى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشير ففعلوه .

فهذا تعرف أنه لا يحل إلا . حجان ميزان حسناته . ولا بد من تكبير حسناته . هذا حكم الله تعالى

وإن المرء يربط بالاسم . فهو من يربط مع . مقادير مؤكاه ، ويعاهده معه . وشو . أن لا يعود إلى ثمة الذنوب ، بل إلى مثاها . كالذي يصم في مرضه . فأكفه تضره مثلاً ، فيعزم عزمه جزماً . لا يتناول العاكهة مالم يزل مرضه . فإن هذا العزم يتأكد في الخلق ، وإن كان جسد . أن تعلبه الشهوة في ثاني الحان . ولكن لا يكون . تلباً مائماً يترك حرمه في ليل . ولا يتصور أن يتم ذلك لتائب في قول أمره إلا بالحرقة ، والصحة وقت . واليوم ، وإحراز قوت حلال . فإن كان له مال موروث حلال ، أو كاتبة حرقة يكتب بها قدر الكفاية ، فيبصر عليه . من رأسه انحصار أكلي . فكيف يكون تائباً مع الإصرار عليه . ولا يكتب بالحلل وترك الش . من لا يتر عن ترك الشهوات في المأكولات والمليوبات . وقد قال بعضهم : من صدق في ترك شهوة واحدة عسى الله سبحانه أن يهديه إلى غيرها . من ترك من ترك واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبداً .

ومن مهمتها التنبؤ إذا لم يكن عادياً، أن يتعمق ما يجب عليه في المستقبل.
وما يحرم عليه، حتى يمكنه الاستغناء. وإن لم يؤثر العبرة لم تتم له الاستفادة
المطلقة، إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والرفا
والغضب مثلاً، وليست هذه توبة مطلقة. وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة
لا تصح. وقال قائلون: تصح. وأعطى الصحة في هذا المقام مجمل. بل نقول
من قال لا تصح إن حيت به أن تركه بعض الذنوب لا يعود أصلاً، بل وجوده
كعدمه، قد أعظم خطئاً. فإن بعض أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب،
وقتها لسبب لقلته. ونقول لمن قال تصح، إن أردت به أن التوبة عن بعض
الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفور، فهذا أيضاً خطأ. بل النجاة
والفور بترك الجميع هذا حكم الظاهر. — شكلم في مخايا أسرار حقو الله.

فإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح. إلى أردت به أن التوبة عبارة عن
الندم، وإنما يندم على السرقة مثلاً لكونها معصية، لا كبر سرقة. ويصح
أن يندم عليها دون الرضا إن كان توجهه لأجل المعصية، من لئنة شامة شامة،
إذ من يتوجه على قتل ولده بأسيف يتوجه على قتله بالسكّر، لأن توجهه
بقوات محبوه سواء كان بأسيف أو بالسكين، فكذلك توجه العبد بموت
محبوه، وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا، فكيف يتوجه على
البعض دون البعض، فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية معصية للمحسوب
من العيب إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض،
ولو جاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر، فإذا استحال
ذلك من حيث إن المعصية في الحسرين واحد، وإنما الدنان ظروف فكذلك
أعيان المعاصي آلات للمعصية، والمعصية من حيث مخالفة الأمر واجبة، فإذا
مضى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة، وثالث الرتبة لا قال لا
بالندم. ولا يتصور الندم على بعض المآثلات فهو كالبللث المرتب على الإيجاب
والقبول فإنه إذا لم يتم الإيجاب والقبول نقول إن العقد لا يصح، لم يترتب عنه
الشرع وهو أنى سبب يرفع هذا أثره عند الشرع لا يمنع عنه عقاب

ما تركه، وثمرة الندم تكفير مسبق ميث الرب يكفر السرقة، بل ندم
عليها. ولا يتصور ندم إلا كبر، معصية واحدة. على جميع المعاصي

وهو كلال مفهوم وقع، يستحق الاستغفار. بل يمكنه يكف معصية
فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما تكون عن الكبائر دون
الصغائر، أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبرى دون كبرى. أما التوبة عن
الكبائر دون الصغائر، فامر ممكن. لأنه يعلم. الكبائر أعظم عند الله،
وأحب سحق الله ومقتته. والصغائر أقرب إلى نفي في العقوبة فلا يستحق
أن يتوب عن الأعظم ويندم عليه. كالذي عصى أمراً من حرمه.
ويحسب على دابته فيكون خائفاً من أحذية على لا. مستحقاً سبحانه عن
الداية والندم بحسب استعظام الذنب واعتداد كبر المعصية عن شدة ندمه وهذا
ممكن وجوده في الشرع. فقد كثر التأنيون في الأمر حذيه. وبه يمكن أحد
فيه معصوماً فلا تستدعي التوبة معصية واحدة قد صدر مريض بعمل
تخسيراً شديداً، وحذره لسكر حديراً أحف منه، من وجه يشعر معه أنه ربما
لا يظهر صرر السكر أصلاً، فيتوب المريض بقوله عن بعض دون السكر.
فهو غير محل وجوده وإن أكلهم جميعاً بحكمه شبهته، ندم على أكل بعض
دون السكر انتهى أن يتوب عن بعض نكثراً. بعض وهذا أيضاً ممكن
لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأعظم عند الله. كذا في يتوب عن القتل.
والنهب، والظلم ومظالم العباد، لعلمه أن ديوان حده لا يترك، وما يسهل وبين
الله يتسارع العفو إليه. فهذا أيضاً ممكن، كما في تعدد الكبائر والصغائر لأن
الكبائر أيضاً متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبيها. ولذلك قد يتوب عن
بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد، كما يتوب عن شرب الخمر دون الرضا مثلاً،
إذ يتصح له أن الخمر مفتاح الشرور، وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي
وهو لا يدري. فيحسب ترجع شرب الخمر عنده بنعت منه خوف، يوجب
ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي. الثالث: أن يتوب عن صغيرة أو
صغائر، وهو مصر على كبيرة معصية بها كبيرة كاستهوانه عن المعصية، أو عن

النظر إلى غير المحرم ، أو ما يجري مجراه ، وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضاً
 ممكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ، وبإدام عن
 فعله ندماً إما صمغاً وإما قوياً ، ولكن تكون لذة ندمه في تلك المعصية أقوى
 من ألم قلبه في الخوف منها ، لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل
 والفتنة ، وأسباب توجب قوة الشهوة ، فيكون الندم موجوداً ، ولكن لا يكون
 ملئاً بتحريك العزم ، ولا قوياً عليه . فإن سلم عن شهوة أقوى منه ، إن لم
 يعارضه إلا ما هو أضعف ، قهر الخوف الشهوة وغلبها ، وأوجب ذلك ترك
 المعصية ، وقد تشتد صراوة الناس بالخمر ، فلا يقدر على الصبر عنه ، وتكون
 له ضرورة ما بالعينة ، وتلب الناس ، والنظر إلى غير المحرم ، وخوفه من الله قد
 بلغ مبلغاً ينفع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة ، فيوجب عليه جند الخوف
 إجماع العزم للترك ، بل يقول هذا الناس في نفسه . إن قهر الشيطان
 بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي ، فلا ينبغي أن أخلع العذر وأرعى
 العنان بالكلية ، بل أجاهده وبعض المعاصي ، فمالي أخيه ، فيكون قهرى له
 في البعض كفارة لبعض ذنوبى . ولو لم يتصور هذا لما تصور من الناس أن
 يصوم ويصوم . وقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصوم ، وإن كانت لله
 فترك الصلوة . وبأمر الله فيه واحد ، فلا يتصور أن تقصد بصلاتك
 التقرب إلى الله تعالى ، ما لم تقرب بترك الصلوة وهذا حال بأن يقول . لله تعالى
 على أمرى ، ولعل الخاتمة فيها عقوبتان . وأنا مل في أحدهما يظهر الشيطان
 عاجز عنه في الآخر ، فأنا أقهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكبر
 عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى . فكيف لا يتصور هذا ، وهو حال
 كل مسلم ؟ إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ، ولا سبب له
 إلا هذا . وإد فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب يمكن
 وجودها . والخوف إذا كان من فعل ما هو أوثق الدم ، والدم يورث العزم
 وقد قال النبي ﷺ **والندم ثوبه** ، وم يشهد الدم عن كل ذنب . وقال
 والثائب من الذنب كمثل لا ذنب له . وم يقبى نائب من الذنوب كلها

وهذه المعاني ثلث صفوط فوق القليل . إن . . . عن بعض الذنوب غير
 ممكنة ، لأنها متباعدة في حق الشهوة ، وفي حق الله . من إن سجد الله . . .
 نعم يجوز أن يتوب عن شرب خمر دون سببه
 ويتوب عن الكثير دون القليل . لأن كثرة الذنب
 يساعد الشهوة بالعزم متى يعجز عنه بعض شهوته لله تعالى
 كالمريض الذى حذر الطبيب الفاكهة ، فإنه قد يتناول قليلها ، ولكن
 لا يستكثر منها ، فقد حصل من هذا أنه لا يمكن . يتوب عن شيء ولا يتوب
 عن مثله بل لابد أن يكون ما تاب عنه عند ما يقبى عليه . إما في شدة
 المعصية وأما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التمسك في اعتد نائب ، تصور
 اختلاف حاله في الخوف والدم . فيتصور اختلاف حاله في الترك . فندم على
 ذلك الذنب ، ووجهه بعزمه عن الترك
 أطاع الله في جميع الأمور
 الذى قاربه قبل طوبى
 عن ترك فيما يقدر على فعله
 إياه . ولكن أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحمى به صبر الرما
 الذى قاربه ، وفارعه احتراق ، وتحجر وندم
 باقية لكأن حرقه الدم تمنع من الشهوة وتعد
 مكفراً لذنبه ، وماحيا عنه سببه إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طهران العنة ،
 ومات عقب التوبة ، كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تبيح فيها الشهوة .
 وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه نائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغاً أوجب
 صرف قصده عن الرضا لو ظهر قصده . فإذا لا يستعمل أن تبلغ قوة الدم في
 حق العزم هذا المبلغ ، إلا أنه لا يحرقة من نفسه . فإن كل من لا يشئ شيئاً
 يقدر نفسه قادراً على تركه بأذى بخوف
 مقدار ندمه ، فمساها يقبله من قبل الظاهر أنه يقبى . وحقيقة في هذا كله ترجع
 إلى أن ضمة معصية تسحق عن النفس شيئاً

شدة الشهوة بترك في المشتل وقد امتعت اجددة برول الشهوة ولكن ليس
محالاً أن يجرى ندم تحت يقوى على محو دون اجددة ولو لا هذا فقد
شهوة لا تقل ما لم يعش الشاب بعد التوبة منه ، يجاهد نفسه في عين تلك
الشهوة مرات كثيرة . وذلك كما لا يدل ظاهر الشرح على سراحه أصلاً . ومن
فب' يد فرصة ثانية ، أحدهم سكنت نفسه عن المروع في الحب ، وذاكر
في نفسه مروع ربه وجرى بعده ، ونحوه . فليما فصل ؟

فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه . فقد أخذ من أبي حنيفة وأصحابه
أن ملحق بالاراي : إن المجاهد أفضل ، لأن مع التوبة فصل الجهاد . وقد
علماء البصرة : ذلك الآخر أفضل ، لأنه لو خسر في توبته كان أقرب إلى السلامة
من المجاهد الذي هو في عرصه امتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من
الفرق لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال حقيقته وإحقاقه أنه الذي
تفعل مروع نفسه في حال

أحدهم أن يكون المقصود مروع ربه بصور في نفس شهوة مقصود ،
ومعينة فصل من هذا . إذ تركه . فجدد قد دل على قوة نفسه ، وسبلاء
ديه عن شهوته ، فهو يدل قيصع على قوة النفس ، وعلى قوة الدين . وأغنى
قوة حتى قوة لإردده حتى تسعت بإشارة اليقين ، وجميع الشهوة بعبته
بإشارة الشيطان . فها تارك موعود من عهده عبيد مقصود . ولولا انقراض .
هذا أسسم ، إذ هو لا يعود إلى نفسه ، عهد صحيح ولكن يستعمل بعض
لأفضل منه حصاً وهو كثرة الغنى ، من أفضل من الضل ، لأنه في أمر من
خطر الشهوة ونصي أفضل من ربح ، لأنه أسسم . وأفضل أفضل من است
القاهر فقامع لأعدائه ، لأن نفس لا عبودية ، واست ربه يفت مره وإ
غلب مرات . وهذا كلام رجل سليم القلب ، قاصر النظر على العواهر ، غير
عالم بأن العر في الأخطار ، وأن العلو شرطه اقتحام الأعر . من هو كقول
القاتل : الصياد الذي ليس له قرص ولا كلب ، أفضل في ساعة الاصطياد
وأعلى رتبة من صاحب الكلب والقرص . لأنه آمن من أن يفتح به فريسه ،

فكسر عهده عند سقوطه على الأرض . وآمن من أن يعصه الكلب
ويغريه عليه . وهذا حيل بل صاحب الكلب . والكلب إذا كان قوياً غلب
بصريق تدبيره على ربه أخرى بترك سدد هيب

حده الثانية . أن يكون بطلان الروح برب قوة اليقين ، وصدق الشهادة
سدد . إذ بيع سدد بيع عبيد شهوة أدبت بأدب تسرع ، فلا تفتح
لا بالإشارة من الدين . وقد سكنت بمر . سلاء الدين عيب عهد على
رته من عهد مقدس عبيد شهوة وقصر . وقول نقائل بين ندمت نفس
حياد قصور عن لإحده مقصود جهده . جهده بين مقصود عيه من
مقصود قيصع ضرورة العدو ، حتى لا يست . إلى شهوته ، ومن عجر عن
ستجربك فلا يصك من سلوكه بين . فإذا قهرته وحصلت المقصود ،
بعد طهرت وما دمت في عهدة ، فلت به . طلب الظفر . ومثاله كمثل
من قهر العدو واسترقه ، بالإضافة إلى من هو . يعون بجهدي في صف انصاف ،
ولا يدري كيف يصيب . ومثله يقص . عدم كلب الصدف . ومن
لنرس ، عهد بائم . عده بعد ترك كلب الصرورة وعرض جناح ،
بالإضافة إلى من هو مشغول بمسألة التدبير عده . وقدر في حد فريق ،
قصوا أن الجهاد هو مقصود لأقصى ، وه بهما . أدبت ضب لمخلص من
عواقب الطريق ، وظل آخرون أن قمع الشهوة . وماضتها بأكبيه مقصود حتى
جرب بعضهم بنفسه ففجر عنه ، فقال هذ عبال فكذب بأشرع ، وسكت
سبيل الإباحة ، واسترسل في اتباع الشهوات . وكل دت حيل وصلان وقد
قررنا ذلك في كتاب رياضة النفوس من ويلج لهيكات . فإن قلت : لما قولك
في تأبين ، أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتذكر فيه ، والآخر جعله نصب
عنه ولا يزال يتذكر فيه ويحترق فندماً عليه . فأيما أفضل ؟

أيهما أفضل ؟

فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه . فقال بعضهم : حقيقة التوبة أن تصب

ترك التضاحة وبرل إلى كنهه^(١٣١) إلى الذي يعد منه أو صغر . يصوت ه
وعاء^(١٣٢) أو صغيراً تشبهاً بالهيبة والضاغر ، تصدق في بعينه هـ . أن يعين
عن أمثال هذه الدونى ، فإنها مرلة أقدام العارفين فضلاً عن العالين ، سأل الله
حسن التوفيق بطلعه وكرمه .



المجل الرابع أقسام العباد في درج التوبة

اعلم أن الدين في التوبة على أربع طبقات

توبة دى النفس المطمئنة

الطبقة الأولى أن يتوب مدعى وبه . عن سببه إلى آخر عمره
فيذكر مدعى^(١٣٣) من أمره . لا حاد هو من دونه . لا التراب
اللى لا يمتد بشرعه في تعدد مهج . حل في رتبة التوبة . فهذا هو
الاستقامة على التوبة . وصاحبه هو السليم . حيراب مستند راسبات
حسان . ونسب هذه التوبة لتوبة النصوح . ونسب هذه النفس الساكنة نفس
مستقيمة . التى ترجع إلى رب رعية مرضية . هؤلاء هم الذين يهتدوا بإشارة
بقوله عليه السلام^(١٣٤) «سقى الممردون المسهرى» . يذكر الله تعالى وضع الذكر
عليهم أوزارهم فوزدوا القيامة خفافاً . فإن به إشارة إلى أسم كانوا تح
أزوار وصعها الذكر عنهم .

وأهل هذه الطبقة على وقت من حيث السور إلى الشهوات ، فمن قاتل
سكت شهواته تحت قهر المعرفة ، ففتر برعها ، ولم يشغله عن السبوك
صرعها . ومن لا يمتد من صراحة النفس . يكتف من عده ههنا ورده

(١٣١) الكنه : البقى . فعل تسان . وضمه . حفر عن المصاحبة والياد .

(١٣٢) الرعاء : صوت البحر ، والنام والصبح وكصف الرعد ، وبكاء الصبي المنهد ، والمقصود

العب .

(١٣٣) مرط سيق والفارط : الس

(١٣٤) حليلت سيق الممردون مسهرى . يذكر الله مدى من حليلت في هـ

وقد تقدم

ثم شهدت درجته شرح نصاً بكثرة وعنه واختلاف منه ،
 وحلاف لأبوح وكذا من جنته من حيث قولهم من عصف بموت
 قريباً من وجهه ، بعد عن ذلك سلامه وموته قبل الفرح ، ومن ثم من صان
 حبه وعمره ، وتمادى سعادته وكبر حبيبته ، وحين هذا من وأفضل ،
 إذ كل سيرة يرى تحوي حسنة ، حتى قد بعض العلماء ، إنه يكفر الذنب
 الذي ارتكبه العاصي أن يسكن به عسر مرات ، مع صدق الشهوة ، ثم يصبر
 عنه ، ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى . واشتراط هذا بعيد ، وإن كان
 لا ينكر عظم أثره لو فرض . ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا
 عبرة ، فتبجح السيرة ، وتغضض الأسباب حتى يتمكن ، ثم يطمع في
 الاكتفاء ، فإنه لا يؤمن خروج عن الشهوة عن احتير ، فيقدم على
 المعصية ، ويقص توبته . بل طريقها الفرار . من ابتداء أسبابه الميسرة له ، حتى
 يسد طرقها على نفسه ، ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه . به
 تسلم توبته في الإبتداء

توبة ذي النفس اللوامة

الطبعة الثانية تأتت سلك طريق الاستقامة في أمهات الصاعات ، وترك
 كابر الفواحش كلها ، إلا أنه ليس يفتك عن ذنوب تعتره ، لا عن عمد
 وتجريد قصد ، ولكن يتلى بها في مجاري أحواله . من غير أن يقدم عزماً على
 الإقدام عليها . ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف ، وجدد عزمه
 على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها لئلا تعرجه لها . وهذه النفس جديرة بأن
 تكون هي النفس اللوامة ، إذ توم صاحب على ما تسبب من لأحوال
 الذميمة ، لا عن أنصميم عزم وتحمين رأى وقصد . وهذه أيضاً رتبة عالية ، وإن
 كانت نازلة عن الطبقة الأولى . وهي أغلب أحوال الثانيين . لأن الشر معجون
 بطينة آدمي قلما يمتنع عنه ، وإنما غاية سعيه أن يعصب نفسه شره ، حتى يتصل
 ميرانه ، فترجح كفة الحسرات فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات ، فذلك في

عنه بعد . وهؤلاء هم من الوعد من الذين ، إذ من معالي الدين
 يخسرون كابر الأثم والفواحش إلا اللّهم إنك واسع المغفرة (١٣٨)

فكل من يقع بصعرة ، لا عن توطئ مقصد منه ، فهو حدير بل يكون من
 سعة مغفوره . قال تعالى (والذين إذا صابوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم
 ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) (١٣٩) . فاستغفروا مع ذنوبهم لأنفسهم ،
 سألهم يومئذ أنفسهم عليه . بل من هذا إشارة بقول (عنه) ، فيما
 روي عنه عن كرم الله وجهه (١٤٠) : حذر كل مفتي ثوب ، ولى حذر
 آخر . المؤمن كالسنة يفيء أخياناً ومن أخياناً ، ولى الخير (١٤١) ولا
 بُد للمؤمن من ذنب يأتيه التوبة بعد التوبة . في العين بعد العين

فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا يقص التوبة ، ولا يلحق صاحبها
 بدرجة المصيرين . ومن يؤس مثل هذا عن درجة الثانيين ، كالطبيب الذي يؤس
 الصحيح من دوام الصحة ، ثم يصابه من داء كره والأصم من خسارة مرة بعد
 أخرى . من غير مداومة واستمرار . وكالمصم الذي يؤس المتفقه عن نيل
 درجة القضاء . بفتور عن التكرار والتعليل في أوقات فائدة غير متطاولة
 ولا كثرة وذلك يدل على نقص الطبيب ونقصه بل الفقيه في الدين هو الذي
 لا يؤس الخلق عن درجات السعدت ، . يتفق هم من مرات ومقارفة
 استتت الخطيئات . قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (١٤٢) : كُلُّ بَشَرٍ آدَمٌ خَطَّاءُونَ وَخَيْرُ

(١٣٨) التوبة . ٣٢ (١٣٩) (١٤٠) (١٤١)

(١٤٠) حديث على حكاية كل مفتي ثوب . في تفسير في السند بسند صحيح
 (١٤١) حديث من كرم الله وجهه . في تفسير في السند بسند صحيح . من حديث
 أنس بن مالك . من حديث عن أبي هريرة . في تفسير في السند بسند صحيح . من حديث
 (١٤٢) حديث لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه التوبة بعد التوبة . في تفسير في السند بسند صحيح . من حديث
 (١٤٣) حديث كل من آثم خطيئة وخير لخطيئته يستغفر . في تفسير في السند بسند صحيح . من حديث
 من حديث أنس بن مالك . في تفسير في السند بسند صحيح . من حديث

فَلْخَطَّائِيْنَ الثَّوَابِ الْمُسْتَغْفِرِينَ ۝ وَهِيَ بُعِثَ ۝ السُّؤْمُومِ ۝ وَإِذَا رَاقِعٌ
فَخِيَرُهُمْ مِنْ مَّا تِ عَلَى رَقْعِهِ ۝ أَيْ وَهُوَ بِالْذُّبِ ۝ رَاقِعٌ بِالتَّوْبَةِ وَلَمْ يَمُوتْ ۝ وَقَدْ
تَعَالَى ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْزَمُونَ بِالْعَسَةِ
الْمَيْتَةِ﴾ ^(١٢٢) فَمَا وَصَعَهُمْ بِعَدَمِ السَّيِّئَةِ أَصْلًا ۝

الطقة الثالثة ، أ ب ي و هـ س عى ل ا س م م د هـ ن م ت ح ط ش هـ و
عصر ادوب فيقدم عليه عن صديق وفصل شهوة ، لعجزة عن قبر شهوة
الا تـ مع دمت موصد على مـ عت ، وانا كـ شهوة من الدوب مع صبرة
والشهوة ويز فخرته هـ شهوة لوحيد و شهوة ، وهو يود لو أفقره
اقد تـ عن قمعه ، وكذا شره هـ شهوة في حال قصه ، شهوة وعـ
تفرغ يده و يـ سى م فـ شهوة ، يـ شهوة عـ و عـ عـ عـ في قبره
يكـ تـ شهوة ، ويسوف يوبه مرة بعد أخرى ويوم بعد يوم شهوة
البس هي الى تسمى نفس المسونة وصاحبها من تـ في داب انه تـ فيهم
﴿ واخرون اغرفوا بدلوهم خلطوا عملاً ضالِحاً وآخر شيئاً ﴾ و أمره
من حيث مواظبته على الصلوات وكرهه لما تعاداه مرجو : فعسى الله أن يتوب
عليه ، وعاقبته محطرة من حيث تمويهه وتأخيره ، فرد حبس قبل التوبة ،
ويبلغ أمره في المسبته هـ يدركه شهوة نفسه وحر كسره ، وامتى عنه
ياسوبه الشحوذ السابقين ويز عنه شهوة ، وفخرته شهوة ، فيحشى أن خـ
عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأول ، لأنه مهما تعذر على المنفق
مثلاً الاحترار عن شواغل التعلم ، دل تعذره على أنه سبق له في الأول أن يكون
من جاحدين ، فيصعب الرجاء في حقه . وإذا سمرت له أسباب المواصلة على

لتحصيل. دل على أنه سب في الأول أن يكون من جملة عيسى. فكذلك ارتباط سعادت الآخرة ودرجاتها بالخسائس والعيثات، يحكم تحمير سبب الأسباب، كارتباط المرض والصحة بجوار الأضية والأدوية وارتباط حصول فقه الناس، الذي به تستحق المناصب العالية في أمصارها، بترك الكسل، والمواظبة على تعقيد النفس. فكذلك لا يصلح لمصعب الربابة، والتقصاء، والتقدم بالعلم، ولا نفس صارت مغبية بظول تنقيته، فلا يصح لمالك الآخرة وبعيها، ولا للقرب من رب العنلين، إلا قلبه مهيئ، صار صدهراً حول تركية والتصهير. هكذا سبق في الأول تحمير رب الأرباب. وبذلك قد نعى ﴿وَلْيَسِّرْ وَمَا مَثْوَاهَا قَالَهُنَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَلْخُ مِنْ رُكَّاعًا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٥٧) فيها وقع بعد في دس. فصار اللبس تقداً والتوبة سبباً، كان بعد من علامات الهداية. قال عليه السلام (١٥٨) «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَفْعَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْحَيَّةِ سِتْرَيْنِ سِتَّةَ حَتَّى يَنْوِي النَّاسُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا وَلَا يَتَّقِي بَيْتَهُ وَيُشِيرُ الْحَيَّةَ إِلَّا شَيْئاً فَيَسْقِي عَلَيْهِ الْكَذِبَ فَيَعْمَلُ بِمَعْرِ أَهْلِ الدَّرِ يَذْكُهَا»

توبة النص الأمانة

(۱۶۷) تسمی ۱۰۹۸ھ - ۱۰۷۷ھ - ۱۰۶۷ھ - ۱۰۵۷ھ - ۱۰۴۷ھ - ۱۰۳۷ھ - ۱۰۲۷ھ - ۱۰۱۷ھ - ۱۰۰۷ھ - ۹۹۷ھ - ۹۸۷ھ - ۹۷۷ھ - ۹۶۷ھ - ۹۵۷ھ - ۹۴۷ھ - ۹۳۷ھ - ۹۲۷ھ - ۹۱۷ھ - ۹۰۷ھ - ۸۹۷ھ - ۸۸۷ھ - ۸۷۷ھ - ۸۶۷ھ - ۸۵۷ھ - ۸۴۷ھ - ۸۳۷ھ - ۸۲۷ھ - ۸۱۷ھ - ۸۰۷ھ - ۷۹۷ھ - ۷۸۷ھ - ۷۷۷ھ - ۷۶۷ھ - ۷۵۷ھ - ۷۴۷ھ - ۷۳۷ھ - ۷۲۷ھ - ۷۱۷ھ - ۷۰۷ھ - ۶۹۷ھ - ۶۸۷ھ - ۶۷۷ھ - ۶۶۷ھ - ۶۵۷ھ - ۶۴۷ھ - ۶۳۷ھ - ۶۲۷ھ - ۶۱۷ھ - ۶۰۷ھ - ۵۹۷ھ - ۵۸۷ھ - ۵۷۷ھ - ۵۶۷ھ - ۵۵۷ھ - ۵۴۷ھ - ۵۳۷ھ - ۵۲۷ھ - ۵۱۷ھ - ۵۰۷ھ - ۴۹۷ھ - ۴۸۷ھ - ۴۷۷ھ - ۴۶۷ھ - ۴۵۷ھ - ۴۴۷ھ - ۴۳۷ھ - ۴۲۷ھ - ۴۱۷ھ - ۴۰۷ھ - ۳۹۷ھ - ۳۸۷ھ - ۳۷۷ھ - ۳۶۷ھ - ۳۵۷ھ - ۳۴۷ھ - ۳۳۷ھ - ۳۲۷ھ - ۳۱۷ھ - ۳۰۷ھ - ۲۹۷ھ - ۲۸۷ھ - ۲۷۷ھ - ۲۶۷ھ - ۲۵۷ھ - ۲۴۷ھ - ۲۳۷ھ - ۲۲۷ھ - ۲۱۷ھ - ۲۰۷ھ - ۱۹۷ھ - ۱۸۷ھ - ۱۷۷ھ - ۱۶۷ھ - ۱۵۷ھ - ۱۴۷ھ - ۱۳۷ھ - ۱۲۷ھ - ۱۱۷ھ - ۱۰۷ھ - ۹۷ھ - ۸۷ھ - ۷۷ھ - ۶۷ھ - ۵۷ھ - ۴۷ھ - ۳۷ھ - ۲۷ھ - ۱۷ھ - ۷ھ - ۰ھ - ۱ھ - ۲ھ - ۳ھ - ۴ھ - ۵ھ - ۶ھ - ۷ھ - ۸ھ - ۹ھ - ۱۰ھ - ۱۱ھ - ۱۲ھ - ۱۳ھ - ۱۴ھ - ۱۵ھ - ۱۶ھ - ۱۷ھ - ۱۸ھ - ۱۹ھ - ۲۰ھ - ۲۱ھ - ۲۲ھ - ۲۳ھ - ۲۴ھ - ۲۵ھ - ۲۶ھ - ۲۷ھ - ۲۸ھ - ۲۹ھ - ۳۰ھ - ۳۱ھ - ۳۲ھ - ۳۳ھ - ۳۴ھ - ۳۵ھ - ۳۶ھ - ۳۷ھ - ۳۸ھ - ۳۹ھ - ۴۰ھ - ۴۱ھ - ۴۲ھ - ۴۳ھ - ۴۴ھ - ۴۵ھ - ۴۶ھ - ۴۷ھ - ۴۸ھ - ۴۹ھ - ۵۰ھ - ۵۱ھ - ۵۲ھ - ۵۳ھ - ۵۴ھ - ۵۵ھ - ۵۶ھ - ۵۷ھ - ۵۸ھ - ۵۹ھ - ۶۰ھ - ۶۱ھ - ۶۲ھ - ۶۳ھ - ۶۴ھ - ۶۵ھ - ۶۶ھ - ۶۷ھ - ۶۸ھ - ۶۹ھ - ۷۰ھ - ۷۱ھ - ۷۲ھ - ۷۳ھ - ۷۴ھ - ۷۵ھ - ۷۶ھ - ۷۷ھ - ۷۸ھ - ۷۹ھ - ۸۰ھ - ۸۱ھ - ۸۲ھ - ۸۳ھ - ۸۴ھ - ۸۵ھ - ۸۶ھ - ۸۷ھ - ۸۸ھ - ۸۹ھ - ۹۰ھ - ۹۱ھ - ۹۲ھ - ۹۳ھ - ۹۴ھ - ۹۵ھ - ۹۶ھ - ۹۷ھ - ۹۸ھ - ۹۹ھ - ۱۰۰ھ - ۱۰۱ھ - ۱۰۲ھ - ۱۰۳ھ - ۱۰۴ھ - ۱۰۵ھ - ۱۰۶ھ - ۱۰۷ھ - ۱۰۸ھ - ۱۰۹ھ - ۱۱۰ھ - ۱۱۱ھ - ۱۱۲ھ - ۱۱۳ھ - ۱۱۴ھ - ۱۱۵ھ - ۱۱۶ھ - ۱۱۷ھ - ۱۱۸ھ - ۱۱۹ھ - ۱۲۰ھ - ۱۲۱ھ - ۱۲۲ھ - ۱۲۳ھ - ۱۲۴ھ - ۱۲۵ھ - ۱۲۶ھ - ۱۲۷ھ - ۱۲۸ھ - ۱۲۹ھ - ۱۳۰ھ - ۱۳۱ھ - ۱۳۲ھ - ۱۳۳ھ - ۱۳۴ھ - ۱۳۵ھ - ۱۳۶ھ - ۱۳۷ھ - ۱۳۸ھ - ۱۳۹ھ - ۱۴۰ھ - ۱۴۱ھ - ۱۴۲ھ - ۱۴۳ھ - ۱۴۴ھ - ۱۴۵ھ - ۱۴۶ھ - ۱۴۷ھ - ۱۴۸ھ - ۱۴۹ھ - ۱۵۰ھ - ۱۵۱ھ - ۱۵۲ھ - ۱۵۳ھ - ۱۵۴ھ - ۱۵۵ھ - ۱۵۶ھ - ۱۵۷ھ - ۱۵۸ھ - ۱۵۹ھ - ۱۶۰ھ - ۱۶۱ھ - ۱۶۲ھ - ۱۶۳ھ - ۱۶۴ھ - ۱۶۵ھ - ۱۶۶ھ - ۱۶۷ھ - ۱۶۸ھ - ۱۶۹ھ - ۱۷۰ھ - ۱۷۱ھ - ۱۷۲ھ - ۱۷۳ھ - ۱۷۴ھ - ۱۷۵ھ - ۱۷۶ھ - ۱۷۷ھ - ۱۷۸ھ - ۱۷۹ھ - ۱۸۰ھ - ۱۸۱ھ - ۱۸۲ھ - ۱۸۳ھ - ۱۸۴ھ - ۱۸۵ھ - ۱۸۶ھ - ۱۸۷ھ - ۱۸۸ھ - ۱۸۹ھ - ۱۹۰ھ - ۱۹۱ھ - ۱۹۲ھ - ۱۹۳ھ - ۱۹۴ھ - ۱۹۵ھ - ۱۹۶ھ - ۱۹۷ھ - ۱۹۸ھ - ۱۹۹ھ - ۲۰۰ھ - ۲۰۱ھ - ۲۰۲ھ - ۲۰۳ھ - ۲۰۴ھ - ۲۰۵ھ - ۲۰۶ھ - ۲۰۷ھ - ۲۰۸ھ - ۲۰۹ھ - ۲۱۰ھ - ۲۱۱ھ - ۲۱۲ھ - ۲۱۳ھ - ۲۱۴ھ - ۲۱۵ھ - ۲۱۶ھ - ۲۱۷ھ - ۲۱۸ھ - ۲۱۹ھ - ۲۲۰ھ - ۲۲۱ھ - ۲۲۲ھ - ۲۲۳ھ - ۲۲۴ھ - ۲۲۵ھ - ۲۲۶ھ - ۲۲۷ھ - ۲۲۸ھ - ۲۲۹ھ - ۲۳۰ھ - ۲۳۱ھ - ۲۳۲ھ - ۲۳۳ھ - ۲۳۴ھ - ۲۳۵ھ - ۲۳۶ھ - ۲۳۷ھ - ۲۳۸ھ - ۲۳۹ھ - ۲۴۰ھ - ۲۴۱ھ - ۲۴۲ھ - ۲۴۳ھ - ۲۴۴ھ - ۲۴۵ھ - ۲۴۶ھ - ۲۴۷ھ - ۲۴۸ھ - ۲۴۹ھ - ۲۵۰ھ - ۲۵۱ھ - ۲۵۲ھ - ۲۵۳ھ - ۲۵۴ھ - ۲۵۵ھ - ۲۵۶ھ - ۲۵۷ھ - ۲۵۸ھ - ۲۵۹ھ - ۲۶۰ھ - ۲۶۱ھ - ۲۶۲ھ - ۲۶۳ھ - ۲۶۴ھ - ۲۶۵ھ - ۲۶۶ھ - ۲۶۷ھ - ۲۶۸ھ - ۲۶۹ھ - ۲۷۰ھ - ۲۷۱ھ - ۲۷۲ھ - ۲۷۳ھ - ۲۷۴ھ - ۲۷۵ھ - ۲۷۶ھ - ۲۷۷ھ - ۲۷۸ھ - ۲۷۹ھ - ۲۸۰ھ - ۲۸۱ھ - ۲۸۲ھ - ۲۸۳ھ - ۲۸۴ھ - ۲۸۵ھ - ۲۸۶ھ - ۲۸۷ھ - ۲۸۸ھ - ۲۸۹ھ - ۲۹۰ھ - ۲۹۱ھ - ۲۹۲ھ - ۲۹۳ھ - ۲۹۴ھ - ۲۹۵ھ - ۲۹۶ھ - ۲۹۷ھ - ۲۹۸ھ - ۲۹۹ھ - ۳۰۰ھ - ۳۰۱ھ - ۳۰۲ھ - ۳۰۳ھ - ۳۰۴ھ - ۳۰۵ھ - ۳۰۶ھ - ۳۰۷ھ - ۳۰۸ھ - ۳۰۹ھ - ۳۱۰ھ - ۳۱۱ھ - ۳۱۲ھ - ۳۱۳ھ - ۳۱۴ھ - ۳۱۵ھ - ۳۱۶ھ - ۳۱۷ھ - ۳۱۸ھ - ۳۱۹ھ - ۳۲۰ھ - ۳۲۱ھ - ۳۲۲ھ - ۳۲۳ھ - ۳۲۴ھ - ۳۲۵ھ - ۳۲۶ھ - ۳۲۷ھ - ۳۲۸ھ - ۳۲۹ھ - ۳۳۰ھ - ۳۳۱ھ - ۳۳۲ھ - ۳۳۳ھ - ۳۳۴ھ - ۳۳۵ھ - ۳۳۶ھ - ۳۳۷ھ - ۳۳۸ھ - ۳۳۹ھ - ۳۴۰ھ - ۳۴۱ھ - ۳۴۲ھ - ۳۴۳ھ - ۳۴۴ھ - ۳۴۵ھ - ۳۴۶ھ - ۳۴۷ھ - ۳۴۸ھ - ۳۴۹ھ - ۳۵۰ھ - ۳۵۱ھ - ۳۵۲ھ - ۳۵۳ھ - ۳۵۴ھ - ۳۵۵ھ - ۳۵۶ھ - ۳۵۷ھ - ۳۵۸ھ - ۳۵۹ھ - ۳۶۰ھ - ۳۶۱ھ - ۳۶۲ھ - ۳۶۳ھ - ۳۶۴ھ - ۳۶۵ھ - ۳۶۶ھ - ۳۶۷ھ - ۳۶۸ھ - ۳۶

أحقيقه، وأمره في مثبته الله، فإن ختمه بالسوء على شقوة لا آخر لها، وإن
 حتم له بالخير حتى مات على الوحيد فينتظر له الخلاص من الدروب بعد
 حين ولا يستحيل أن يشمله عموم نعمو بسبب حمى لا تصع عليه، كما
 لا يستحيل أن يدخل الإنسان خراباً ليحد كراً فيفتن أن يحد، وإن يجس في
 بيت ليحبه الله عاماً ناعوم من غير علمه كما كان الأبناء صبوراً الله عليهم .
 فطلب المعرة بالماعات كطلب العلم بالجهد والتكرار، وطلب المال بالتجارة
 وركوب البحار . وطلبها بمجرد لو جاء مع خراب الأعمال، كطلب الكنوز
 في المواضع الخربة . وصب العلوم من تعيم الملائكة . ولت من اجتهد تعلم،
 ولت من اتقى استقى، ولت من صام وصل غفر له . فالناس كلهم محرومون
 إلا العالمون، والعالمون كلهم محرومون إلا العاسون، والعاسون كلهم محرومون
 إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم .

وكأن من خرب بينه وصيغ ماله، وترك نفسه وعياله جميعاً، يزعم أنه
 ينتظر فضل الله بأن يرزقه كثيراً يحمله تحت الأرض في بيته الخرب، بعد جند
 قوى البصائر من الخفي والمرورين، وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في
 قلوب الله تعالى وفضله، فكذلك من ينتظر المعرة من فضل الله تعالى وهو
 مقصر عن الطاعة، مقصر على الدروب، غير سالك سبيل المعرة، بعد عند
 أبواب القلوب من المعترين .

والصجب من عقل هذا المعتر، وبروحه حماقه في صيغة حسه، إذ يقول :
 إن الله كريم، وجته ليست نصيب على مثل، وممصتي ليست نظره . ثم تراه
 يركب البحار، ويفتح الأوعار في طلب الدنار، وإذا قيل له إن الله كريم،
 ودنانير خرائقه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس بفرك،
 فاجلس في بيتك معاه برزقت من حيث لا تحسب يستحق قائم هذا الكلام
 ويستزى به، ويقول ما هذا الموم ؟ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة،
 وإنما ينال ذلك بالكسب، هكذا قلرة مسبب الأسياح، وأجرى به منه،
 ولا تدل لسنة الله . ولا يعلم الممرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن

س لا تدل على فيها جميعاً، وقته قد أحمر في قل **﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَقَى﴾** فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا
 وكيف يقول ليس مقصي الكريم المتور عن كسب المال، ومقتصد الفتور،
 عن العمل بسبب انقياد وسعيه لحالم، وأن من يحكم الكرم يعصيه عن غير
 جهد في الآخرة، وقد يبعد مع شدة الاجداد في عالم الأمر في الدنيا
 ويسعى فيه تعالى **﴿رُمِيَ السَّيِّئُ رَزَقَكُمْ وَهُوَ عَذَابٌ﴾**

فعود الله من عمى والصلال فما من إلا انكاس على أم الرأس،
 وانعاس في صلات حيل وصاحب هـ . سير بأن يكون دحلاً تحت قوه
 تعالى **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَعَرِّفُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
 وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾** أي أبعد . أنت صلت يد فت **﴿وَأَنْ
 لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَقَى﴾** ورزقاً من وعد ذلك لا يمكن من
 الانقلاب، ونفق عليه المسبب فعود الله من دواعي الجهل والشك
 والارتباب السائق بالضرورة إلى سوء التقلب والمآب .



(١٢٥) سج ٢٩

(١٢٥) سج ٢٩

(١٢٥) سج ٢٩



المصل الخامس

بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب

إن جرى عليه ذنب إما عن قصد و شهوة غالبية
أو عن إلمام بحكم الاتفاق

اعلم أن الواجب عليه التوبة، والسم، والاشتغال بالتكفير بحسنة تصاده، كما ذكرنا طريقه. فإن لم تصاحبه النفس على العزم على الترك لعلية الشهوة، فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني، وهو أن يبادر بالحسنة الفسحة لمحوها، فيكون ممن غلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فالحسنة المنكورة للمئات إما بالقلب، وإما باللسان وإما بالجوارح. ولكن الحسنة في حق سيئة، وما يتبعه بأسباب.

فأما بالقلب، فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال العفوة والعفو، ويثقل ثقل المبدأ الآتي، ويكون دله بحيث يظهر لسائر العباد، وذلك بمنزلة كبره فيما بينهم. فما للعبد الآتي المذنب وجه لتكفير عن سائر العباد. وكذلك يضر بقلبه الخيرات للمسلمين، والعزم على الصاعات.

وأما اللسان، فبالاعتراف بالعلم والاستعغار، فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكفر من ضرور الاستعغار، كما أوردناه في كتاب الدعوات والأدكار.

وأما الجوارح، فبالطاعات، والصدقات، وأنواع العبادات. وفي الآثار ما يدل على أن للتائب إذا أتبع بتمام أعمال كان المغفور عنه مرجواً أربعة من

أعدل القلوب، وهي التوبة أو العزم على التوبة، وحب الإقلاع عن الذنب. وغفوب المصائب عليه، ورحمة المعفرة له، وأرجحة من أعمال الجوارح وهي أن تقضي عقوب الذنب ركعتين، ثم تستغفر الله سبعين مرة، وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، ثم تصدق بصدقة وتصرم يوماً أو بعض الأيام^(١٥٣): تسع الوضوء، وتدخل المسجد، وعلى ركعتين.

وفي بعض الأخبار^(١٥٤): تصلي أربع ركعات. وفي الخبر^(١٥٥): إذا عملت سيئة فأنفح حسنة فكفرها السر بالسر وأعلانية بالعلانية، وبذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة السر تكفر ذنوب النهار.

وفي الخبر الصحيح^(١٥٦) أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني عاصيت امرأة فأنسب من كل شيء إلا المس. فاقصص عن نكاح الله تعالى. فقال ﷺ: «أو ما صليت مع صلاة الفدوة؟» قال بلى. قال ﷺ: «إن الحسنة يذهب السيئات» وهذا يدل على أن ما دون الرثا من معصية النساء صغيرة. إذ جعل الصلاة كدفعة لا بمقتضى قوله ﷺ: «الصلوات الخمس كفارات لما يسيئ»

(١٥٣) من مكفر الذنب أن تسع الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين. أصحاب السنن حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه من عبد يذنب ذنوباً عظيمة ثم يتوب فيصير له يسير الله إلا عبد الله به يخطئ إلى داود وهو في تكفيره ينسأى مرد. قوله فليس حصه إلا أنه يوفى عذوبة سيئاته ولا يذنب حسنة من شدة كثرة.

(١٥٤) حديث شككته صلاة أربع ركعات. ابن ماجة في سننه وبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال قال رجل من أصحاب النبي ﷺ عزى مرقفة بـ حديث وفيه حديث آخر من حديث الرجل من امرأته وحديث ذكره غيره هو مثل اسمه فله مدد. وفي الخبر ﷺ ذكره في حديثه أنه صلى أربع ركعات فأثرت الله عز وجل. أنه الصلاة طوي جرد لأبيه وسأله جرد.

(١٥٥) حديث إذا عملت سيئة فأنفح حسنة فكفرها السر بالسر وأعلانية بالعلانية. بيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه العنبري من رواية عنه من يشار من معاذ ولم يلق ولم يسم من حديث.

(١٥٦) حديث أن رجلاً قال: يا رسول الله إني عاصيت امرأة فأنسب من كل شيء إلا المس. حديث في موطأ إلى أصحاب بعض المحدثين عن حديث ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: من عصى الله وعصى ربه من حجب نفسه من الصلاة فله علة قال نعم ومن حديث ابن أبي عمير في حديثه الصلاة معاً قال نعم. الحديث.

إلا الكبار .

فعل الأحوال كلها ، يبقى أن يحاسب نفسه كل يوم ، ويجمع سنة ،
و عهد في دعائها بالحساب .

في كتب يكون الاستغفار نافعاً من غير حل عقدة الإصرار ، وفي
غيره ^{١٢٣٣} المستغفر من الذنب وهو مضمير عليه كالمستغفر بآيات الله ،
وكان بعضهم يقول : استغفر الله من قول استغفر الله . وقيل : الاستغفار
سبب توبه الكبار . وفي رابعة المتوبة : استغفروا يحتاج إلى استغفار
كثير

استغفار العبد أمان له

واعلم : أنه قد ورد في فصل الاستغفار أخبار خارجة عن المحصر ، ذكرناها
في كتاب الأدكار والدعوات ، حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ ،
فقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَمَنْ
يَسْتَغْفِرُ لَهُ ^{١٢٣٤} فَكَانَ مِنْ الصَّحَابَةِ ^{١٢٣٥} ﴾ يقول : كان لنا أمان ، ذهب
أحدهم . وهو كقول الرسول ﷺ ، يعني الاستغفار مع . فذهب ههنا
فقول :

الاستغفار الذي هو توبه نكح من ، هو الاستغفار بمجرد النسيان ، من غير
أن يكون لتقريب فيه شركه . كما يقول الإمام بحكم العادة ومع رأس المعنة
استغفر الله . وكما يقول بدائع صفة البر . يعود بالله . من غير أن يثربه

(١٢٣٣) حديث المستغفر من الذنب وهو مضمير عليه كالمستغفر بآيات الله : أي أبق الدنيا في التوبة من
طريقه اليه في الشعب من حديث ابن عباس يلفظ كالمستغفر بآية وسنده صحيح .
(١٢٣٤) الأمان : ٣٣
(١٢٣٥) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى وما كان الله لمعذبهم وأنت فيهم الآية كان لنا أمان ذهب
أحدهم أحد من قول : أو موسى لم يذبح من حذبه أقر الله على أمانه . حديث
وسنده . من قوله في مسنده من قول من عاص

قلبه . وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان لا حدود . وقد يرد بعض
إليه تصرع القلب إلى الله تعالى . وابتدأه في سؤال معتبره . عن صدق ردة
وخلوص تبة ورغبة ، فهذه حسنة في نفسه . فتصالح لأن يدع ب نفسه
وعلى هذا تحسن الأخبار الواردة في بعض . بعد . حتى قال ﷺ : ^{١٢٣٦}
أصغر من استغفر ولو عاد في اليوم مئتين مرة . هذه عذرة عن الاستغفار
بالقلب . وللتوبة والاستغفار درجات . وإن . لا خير عن التوبة . وإن .
إلى أواخرها . ولدت قل ميل . لا بد من كل حال من مولاه . فحسن
أخونه أن يرجع إليه كل شيء : فإن عصى . فاستغفر . فودع من
معصية قل يارب تب علي فبدلت قل رب رفقني بعصية وودع
قل يارب تغفر لي

ومثل أيضاً عن الاستغفار الذي يكسب من . فلو استغفر
لأشبهه ، ثم لإزالة ، ثم توبة . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
الغروب . ولو رفته عن مولاه . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
الذي هو فيه . ومن أجل نعمة ورث . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
عده مأواه . ثم استغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
ثم بدحة . ثم بعداده . ثم لا . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
في قلبه حتى يكون له بعد . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
صحة . ثم يصير الله إليه ، فرفعه . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
ومثل أيضاً عن قوله ﷺ : الثالث حب الله . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى في التائب . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
حبيب . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .

(١٢٣٦) حديث ما أخر من استغفر . فاستغفر . فاستغفر . فاستغفر .
١٢٣٦

ثمره التوبة

والمتعود أن للتوبة مرتبتين إحداهما مكفر سيئ، حتى يصير كمن لا ديب، والذية من الدرجات، حتى يصير حسناً. إنشكراً أيضاً درجات فبعضه نحو لأصل باب بالكنية، وبعده جفت له ويتصوت ذلك بقاوت درجات التوبة. فالاستعمار بالقلب، والتدارك بالحسنة، وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات؛ فليس يخلو عن العائنه أصلاً فلا يسعى أن تشر أن وجودها كعدمها. بل عرف أهل المشاهدة وروايات الصوف معرفة لأرباب فيها، أن قول الله تعالى ﴿لَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ صدق وأنه لا خير درة من خير عن ثمر. كما لا خير شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو علت الشعيرة الأولى عن أثر؛ لكنت الثانية منها، ولكن لا يرجح الميزان بأحوال الدرجات. وذلك بالضرورة محال. بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كلمة لساعات. فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها، وذرات المعاصي فلا تنفيها كالماء الخرقاء، فكسل عن العزل تعللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول: أي غنى يحصل بخيط، وما وقع ذلك في الثياب؟ ولا تدري المعتوه أن ثوب الدنيا اجتمعت خيطاً خيطاً، وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة.

فقد انزعج والاستعمار بالقلب حسنة لا تضع عند الله أصلاً. بل أقول الاستعمار باللسان أيضاً حسنة. إذ حركة اللسان بها عن غفلة غير من حركة اللسان في تلك الساعة يعينة مسلم، أو فصول كلام. بل هو خير من السكوت عنه. فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه. وإنما يكون نقصاناً بالإضافة إلى عمل القلب. ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي: إن

والله أعلم بالصواب

لسان في بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن، متى عامل، فقال: أشكر الله إذا استعمل جارحة من جوارحك في الخير، و... وذكر، ولم يستعمله في الشر ولم يعود الفضول. وما ذكره حق. فإن جود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع، يدفع جملة من المعاصي. فمن تعود سانه الاستعمار إذا سمع من غيره كذباً سبق لسانه إلى ما توعد به؛ استعمر الله. ومن تعود الفضول، سبق لسانه إلى قول: ما أحفك، ما أفجع كذبت! ومن تعود الاستمادة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من... ر، قل بحكم سنن السالك يعود بالله. وقد تعود الفضول قد: لغة الله فبعض في إحدى مكنتين ويسمى في الأخرى وسلامه أثر عبد لسانه خير وهو من حسنة معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَمْرَ الْمُخْسِرِينَ﴾. معنى قوله تعالى ﴿وَبِذَلِكَ جَاءَتْ نَصَافُهَا وَبُذِرَتْ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. دبر كيف صدمت إذ حسن الاستعمار في المغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر المعصيان بالعينة والنفس والفضول، هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات. وتضعيف الآخرة أكبر لو كان يعلمون.

فإنك وأن تلمح في الصاعات مجرد الآفات. فحسرت وغيتك عن لعبادات، فب هذه مكيدة روجها ليشغل بلسانك عن المعربين، وحسن إنهم هم رب البصائر، وأهل التفطن للخفايا والسرائر. فأى خير في ذكرنا باللسان مع عملة القلب. فانقسم الخلق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

أما السابق: فقد صدقت بيمينه، ولكن هي كلمة حتى أردت بها بطلاً. فلا حرم أعتبك مرتين، وأرغم أعتك من وجهين، فأصيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي دلوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه.

(١٦٦) التوبة

(١٦٧) السوء

وأما الظالم المعرور، فاستشعر في نفسه عيلاء القطعة لهذه الدققة، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب، فترك مع ذلك تمويده للسيد بالذكر، فأسعف الشيطان، وتدل بحيل غروره، فثبت بينهما المشاركة ونوافقة. كما قيل: وافق شين طقه، وافقه فاعتقه.

وأما المقتصد، فلم يقصر على إرغامه بإشراك القلب في العمل، وتمطى لنقصان حركة النفس بالإضافة إلى القلب. ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول، فاستمر عليه، وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع السيد في اعتياد الخير.

فكان السابق كالخائف الذي ذمت حياته فتركها وأصبح كاتباً. والظالم المختلف كالذي ترك الحياة أصلاً وأصبح كئاساً. والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة لا لأنكر مذمة الحياة، ولكن الخائف من المذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكئاس. فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياة ولديك فالت رابعة لتعوية استعمارها يحتاج إلى استعداد كثير فلا تنظر أنها تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله، بل تدم عملة القلب وهو محاج إلى الاستعداد من عملة قلبه لا من حركته بساها. وفي مكت عن الاستعداد باللسان أيضاً. يحتاج إلى استعدادين لا إلى استعداد واحد.

فهيكنما يسعى أن تهم دم ما يدم، وحمد ما يحمد، وإلا جيلت معنى ما قال المقاتل الصادق: حسنت الأبرار سيئت بتفريير. وفي هذه أمور كتبت بالإضافة، فلا يسعى أن تؤخذ من غير إضافة. بل يسعى أن لا تسحق درات الطاعات والمعاصي. ولذلك قال جعفر الصادق: إن الله تعالى ثلثاً في ثلاث: رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل رضاه فيه. وغضبه في معاصيه، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل غضبه فيه. وحجاً ولاءه في عباده، فلا تحقروا منهم أحداً، فنعمة ولي الله تعالى. وراود وحاً إجابته في دعائه، فلا تحركوا الدهاء، وربما كانت الإجابة فيه.

الركن الرابع

في دواء التوبة، وطريق العلاج
لحل عقدة الإصرار

- تمهيد.
- طلب العلماء أول علاج العاصي وهو الركن الأول.
- الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار.
- الركن الثاني في العلاج: الصبر.
- أسباب الوقوع في الذنوب.
- علاج الأسباب الموجبة للإصرار.



تمهيد

عنه أن الناس قسما :

القسم الأول : من لا صورة له ، من عجز وحب الشر ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : **ثَعَثِبَتْ مِنْ شَيْءٍ لَيْسَتْ لَهُ صَيُورَةٌ** ، وهذا غير مدرك .

والقسم الثاني : هو الذي لا يخر عن مقامه ، من عجزه ، ثم قد يفسد من مضريه وينتشر ، وعرضا أن بين العلاج في حل عقدة الإصرار ، وبذكر الدواء فيه .

فاعلم أن شعاع التوبة لا يحصل إلا بالدواء ، ولا يقف على التوبة من لا يقف على الدواء ، ولا معنى للدواء إلا ما قلناه سبب انشاءه ، وكل داء حصل من سبب فمؤثره حل ذلك السبب ، ورفعته ، وبطلته ، ولا يقف شيء إلا بصلته ، ولا سبب لإصرار إلا العنة والشهوة ، ولا يصاد لعنة إلا انعم ، ولا يصاد شهوة إلا عسر عن فتح الأسباب بحركة شهوة ، وعقبة رأس الخطايا ، قال تعالى ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ لا جرم أنهم في الآخرة هم المفسدون ، فلا دواء إلا من يفتح من خلاوة انعم ، وحرارة العسر ، وكما يجمع المكنونين (١٠٠) بين خلاوة السكر وخموضة حل ، ويقصد بكل منهما عرض آخر في العلاج مجموعهما ، ويقمع الأسباب

(١٠١) حديث يعجب بك من الشعب ليست له صورة . حد وأخبرني من حديث عليه السلام عليه

من فقهه

د بسم الله صمد أي من لا يهوى

(١٠٢) عبط من الصل وخر

(١٠٣) الحل ١٩٠١٨

المهية للصبر ، هكذا يعني أن تفهم علاج القلب بما به من مرض
الإصرار .

بدأت بدوء اتصال كرام الله ، وآخر الصبر ولا بد من
يأسه



الفصل الأول

طب العلماء

أول علاج العاصين والأصل الأول

وبن قسنت يفتح كل علم للحق الإصرار أم لا بد من علم مخصوص ؟ . فاعلم أن
عمود حبيب نوره لأمر من عيوب . ولكن من مرض علم بخصه . كما أن
علم حسب دفع في علاج الأمر من حبيب . يمكن شخص كل علة علم
مخصوص . فكذلك دواء لإصرار ذلك العلم على مدرك
مرض لأحد . يكون قرب من حبيب مشا

الإيمان بأصل الشرع

يحتاج المريض إلى تصديق شئ

الأول : أن يصدق على الجملة بأن للمرض دواء
بالاختيار ، على رتبة مسبب الأسباب ، وهذا هو الإيمان بأصل الطب
من لا يؤمن به لا يسعنا علاج
لأن أصل الشرع وهو أن سعادة في آخره
س هو انعطاف . وهذا هو الإيمان
عن شخص أو مقيد وكلامهم من جهة الإيمان

الثاني : أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب . حدد
فيه : صادق فيما يعبر عنه ، لا يأس ولا يكذب . فإن إتيانه بأصل الطب
ينمعه بمجرد دون هذا الإيمان . ووارثه بما لحق فيه ، العلم بصدق الرسول
ﷺ ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق ، لا كذب فيه ، لا حسب

الإصغاء إلى وعد الله وتحذيره

الثالث : أنه لا بد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه
والأسباب المصرة على الجملة ، حتى يعذب عليه الخوف في ترك الاحتتام فتكون
سدة الخوف باعثة له على الاحتواء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار
المنتظمة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع
المعوى ، والتصديق بجميع ما يقى إلى صمعه من ذلك ، من غير شك
واسترافة^(١٦٦) ، حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر ، الذي هو الركن
الآخر في العلاج .

طلب العلم ونشره

الرابع : أن يصغى إلى الطبيب فيما يخص مرضه ، وفيما يترمه في نفسه
الاحتواء عنه ، ليعرفه أو لا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ، وما كونه
ومشروبه . فيس على كل مريض الاحتواء عن كل شيء ، ولا ينفعه كل دواء .
بل لكل حلة خاصة علم خاص ، وعلاج خاص ، ووزانه من الدين أن كل عبد
يقبى بمثل يكن شهوة ، وارتكاب كل ذنب ، بل لكل مؤمن ذنب

(١٦٦) الاسترافة : الزرع في الرية

مخصص ، له ديون مخصوصة . في حاجته : من مرهقه في عمله بأش
ديون ، ثم في عمله بغيره ، وفيه ضيرها ، ثم في علم كيفية لتوصل إلى
أصلها ، ثم إلى علم كيفية كسر ما سبب فيه هذه غيره يختص بها
أخصه . وفي هذه العدة ليس فيه شيء لأحد من عاصي إلى علم عصفاه فعليه
طلب العلاج من طبيب ، وفيه عدم . وفيه أن لا يلقى أن ما يرتكبه
ذنب ، فعلى من لا يعرفه ذلك ، حيث بأن يحسن كل عالم بإقليم أو بلدة ،
أو حلة ، أو مسجد ، أو مشيد فيعلم أهله دسم ، ويغير ما يضرهم عما
ينفعهم ، وما يشقيهم عما يسعدهم . ولا ينبغي أن يصير إلى أن يسأل عنه .
بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى الله . بهم ورقة الأبياء ، والأنبياء
ما تركوا الناس على حيلهم ، بل أثار يدورهم . بجمعهم ، ويدورون على
أبواب دورهم في الآله . ويصلون واحد واحد في شربهم ، فإن قرصى
القلوب لا يعرفون مرضهم . كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة
معه ، لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره . وقد مرص عين عن العلماء
كافة^(١٦٨)

وعلى أسلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وكل حمة طبيباً متديناً ، يعلم
نفس دينهم وما الخلق لا يؤمنون إلا به . فلا من يبيع الدعوة بهم في
الأصل والفرع . والدنيا دار مرضى . لا ليس في نفس الأرض ولا ميت ،
ولا على ظهرها إلا مستحب . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان . والعصفاء
أطباء ، والبسلاطين قوام دار المرضى . فكل من مرض لم يقبل العلاج بمداوة
العالم ، يسلم إلى السلطان ليكتب بشره ، كما نسب الطبيب المريض الذي
لا يحصى ، أو الذي غلب عليه الجبن ، أو القيم ليقده بسلاسل
والأغلال ، ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس .

أكثرية مرضى القلوب على مرضى الأبدان

وإن صار مرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان لثلاث جمل :

(١٦٨) إن دم به واحد مبد لا يستغنى عن الآخر

إحدهما : أن المريض به لا يدري أنه مريض

والثانية : أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم . بخلاف مرض البدن ، فإن عاقبته موت مشاهد ، تنفر الطباع منه . وما بعد الموت غير مشاهد . وعاقبة الدنوب موت القلب ، وهو غير مشاهد في هذا العالم . فثبت أنفرد عن الدنوب وإن علمها مركبها ، فثبت أنه يرى على لسان الله في مرض القلب ، ويجب في علاج مرض القلب من غير تلك

والثالثة : وهو الداء العضال فقد أصيب . من الأصء هه بعضه ، وقد مرض في هذه الأعصار ^{١١٩} امراضاً شديداً عجز عن علاجه ، وصارت هم سوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاصطبروا إلى سوء الخلق ، وإشتره عليهم بما يريدونهم مرضاً لأن سوء المنهت هو حب لدي وقد عيب هذا الداء على الأطباء ، فلم يقدروا على تحديد الخلق منه ، استكفاه من أن يقال هم . فم بالكف تأمرور بالعلاج وسوء تفهمكم ؟ فبه السبب عم على الخلق الداء وعظم الواء ، وانقطع الدواء ، وهلك الخلق لقد الأطباء . بل اشتغل الأصء بعون الإغواء ، فليتهم إذا به يصحوا لم يعيشوا ، وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا . وليتهم سكبوا وما نطقوا . فإنهم إذا تكلموا لم يسمهم في مو عظمهم إلا ما يربع العوام ، ويستعمل قلوبهم . ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء ، وتعيب أسباب الرجاء ، وذكر دلائل الرحمة ، لأن ذلك الذ في الاجتماع ، وأخف على الطباع . فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد حرة على بعضى ، ومريد ثقة بعض الله . ومهما كان الطبيب جاهلاً أو حاك ، أهلك بالدواء حيث يصعبه في غير موضعه ، فالرجاء والخوف دوايان ، ولكن لشخصين متضادى العنة أما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية ، وكلف نفسه ما لا تطيق ، وضيق العيش على نفسه بالكلية ، فكسر سورة إسرائه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ، ليعود إلى الاعتدال .

(١٦٩) جمع عصر ، وهو الزمر

وكذلك نصرت على لدنوب ، نشتهى نبوة ، تمتع بها بحكم القدر
وأسس استعداداً لدنوبه إلى منتهى ، يعجز أيدياً بأسباب الرجاء ، حتى يصح في قلوب شوه فيتوب
فما مدحة المعروف المنبر على بعضى بذلك أسباب رجاء ، وما هي معاناة المحرور بأعس صاً متناه . ودين من ذل البعير والأعلاء . وقد سدد لأصء هي العصاة الداء . شئ لا تفعل منه أصلاً .

طريق الوعظ

فإن قلت : وذكر الطريق الذى ينبغي أن يسلكه الواعظ في صريف الوعظ مع الخلق . فاعلم أن ذلك يعول ولا يمكن استغناء
نعم تشير إلى الأنواع النافعة في حل عقلة الإصبراء ، وحينئذ على ترك الدنوب . وهي أربعة أنواع .



(١٧٠) من الدواهي بشديدة ، كما في القاموس



المجلد الثاني

الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار

ذكر الآيات والأخبار المحفوفة

الأول : أن يذكر ما في القرآن من الآيات المحفوفة للمسلمين والعاصين ، وكما ورد من الأحاديث والآثار من مروي عن النبي ﷺ ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتحاوران بأربعة أصوات يقول أحدهما باليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر باليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر باليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا فعملوا بما علموا ، وفي بعض الروايات : ليتهم تجالسوا فتذاكروا فاعلموا ويقول الآخر باليتهم إذ لم يعملوا بما علموا فعملوا بما علموا .

وقال بعض السلف : إذا أدب العبد ، أمر صاحب البيت صاحب السمال وهو أمر عليه أن يرفع انظم عنه ست ساعات . فإن لم يستغفر كتبها عليه . وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف : ما من عبد يعصى إلا استأذن مكنه من الأرض أن يحسب به ، واستأذن سقاه من السماء أن يسقط عليه كسفاً . فيقول الله تعالى للأرض والسماء : كفاه عن عهدي

(١٧١) حديث ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتحاوران بأربعة أصوات يقول أحدهما باليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر باليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر باليتهم إذ لم يعملوا بما علموا فعملوا بما علموا .

(١٧٢) جمع كسفة وهي القطعة ،

وأمهلاه وإكماله تحلقه ولو خشيته لرحمته . رحمه يتوب إلى فأعمر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسناً . معنى قوله تعالى ﷻ إن الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ﴿١٧٣﴾

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الطابع معني بقائمة العرش إذا انتهكت الخزائن وشحلت المم . وأمر الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها . وفي حديث محمد ﷺ : ألقوا مثل الكف المفتوحة كنما أذهب الغند دنيا القبح حتى تنبض الأصابع كلها فليست على القلب فذلك هو الطبع . وقال الحسن : إن بين العبد وبين الله حد من المعاصي معبودة ، إذ بينه عبد صبح الله عن قلبه ، فلم يوفقه بعدها خير

والأخبار والآثار في دم الغامض ومدح التائب لا تحصى . فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله ﷺ ، فإنه ما حلف دياراً ولا درهماً ، إنما حلف العلم والحكمة ، وورثه كل عالم يقدر ما أصابه .



(١٧٣) فاطر : ٤١٠ .

(١٧٤) حديث عمر الطابع مطلق بقائمة من مروي العرش إذا شحلت الخزائن . الحديث مروي عن

روى عنه في المصنف من حديث من عمر وهو مروي

(١٧٥) حديث محمد ﷺ : ما من عبد حلف على شيء فحلف على نفسه ولا على غيره

قول جماعة وكذا ذكره المفسرون من قوله : وما من عبد حلف على نفسه ولا على غيره

حديثه

(١٧٦) حديث أنه ﷺ ما حلف على شيء ولا على غيره حلف على نفسه وحكمه فيحرق من حلف

عمر بن الخطاب من ما ترك رسول الله ﷺ حلفه بعد سبعة دياراً ولا على غيره ولا على نفسه من

حديث عائشة ما ترك دياراً ولا غيره ولا سبعة دياراً وفي حديث أبي البراء : أن الأنبياء لم يوتوا

دياراً ولا غيره إنما يوتوا الصبح . حديث . وفي نسخة في العلم

ذكر حكايات ذنوب الأنبياء والأولياء

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين ، ومن جرى عليهم من الأهالك بسبب ذنوبهم ، فذلك شديد الوقع ظاهر البقع في قلوب الخلق

مثل أحوال آدم عليه السلام في عصائه ، وما ثقبه من الإخراج من الجنة ، حتى روى أنه لما أكل من الشجرة صيرب شجرة من حديد ولب عورته ، فصبح - ح - وإكس من وجهه - برتد عنه ، فحده حديد عليه سلام ، فحده التاج عن رأسه ، وحل الإكس من وجهه ، ونودي من فوق عرش . ليعطى من جوارى فإنه لا يجاوز من عصاه . قل فتمت آدم إلى حواء بالكلية وقال : هذا أول شؤم المعصية ، أخرجنا من جوار الحبيب .

وروى أن سليمان بن داود عليه السلام ، لما عوقب عن حصيف لأجل الخيال الذي عُبد في داره أربعين يوماً ، وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها قال نعم ولم يفعل . وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه فكأنها منه ، فسلب منك أربعين يوماً ، فهرب تائها على وجهه . فكان يسأل بكفه فلا يظلم . فإذا قال أظعموني قلبي سليمان بن داود شج ، وطرده ، وضرب ، وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته مطردته وبصقت في وجهه . وفي رواية أخرجت عحوز جرة فيها بول فضته على رأسه ، إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الخوت ، فلبسه بعد انقضاء الأربعين : أيام العقوبة . قد فجاءت فطبور فمكمت على رأسه ، وجذبت الجلس والسياتين والوحوش فاحسنت حوله . فاعتذر إليه بعض من كان جثى عليه ، فقال لا أؤمركم فيه فعتت من قل ، ولا أحمدكم في عذركم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه

(١٧٧) حلل جمع حلة - وهي الملابس التي يعمل بها الإنسان ويستر .

وروى في ١٧٠ حديث أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل إليه ليحسب فيه . فمأودته بمسة وحالت بها ، فحده . واستعصه . قل لله الله ببركة تقوله ، فكان بين يدي إسرائيل . وفي بعض موسى عنه سلام ، أنه قال للحظير عليه السلام . ثم أطلعك الله على عهده العيب ؟ قل بترك المعاصي لأجل الله تعالى

وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام ، فطر إلى قميص نظرة ، وكان جديلاً ، فكانه أعجبه . قال فوصحه الريح . فقال لم فعلت هذا ولم أمرك ؟ قالت : إني بطيئت إذا أظعت الله

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام ، أتدري ما فرقت بين وبين ولدك يوسف ؟ قال : لا . قل : قولك إخوته تخاف أن يأكله الدئب وأنتم عنه غاصون لم خفت عليه الدئب ولم تترد ؟ وسم صرت من عفة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له ؟ لو تدري لم رددته حيث ؟ قال : لا . قال : لأنك رجوتني وقت : ﴿ غشي الله أن يأتيهم جميعاً ﴾ (١٧٨) وبما قلت : ﴿ اذهبوا فتحسروا من يوسف وأخيه ولا تأسوا ﴾ (١٧٩) وكذلك لما قال يوسف لصاحب نكت . ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ (١٨٠) قال الله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكره فلنك في السجن بضع سنين ﴾ (١٨١) . ومن هذه الحكايات لا تنحصر . ولم يرد بها القرب . ولأخبار ورود الأخبار . بل العزم على الاعتبار والاستبصار ، لتعلم أن لآباء عبيد السلام من يتجاوز عن الذنوب الصغيرة ، فحين يتجاوز عن غفيرة في الذنوب الكبرى ! نعم كانت سعادتهم في أن عوجنوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة . والأشقياء يهلون ليردادوا ثمناً ، ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضاً مما ينبغي أن يكثر جسمه على ألسنة المصيرين ، فإنه نافع في تحريث ذوي النية

(١٧٩) يوسف : ٨٧

(١٨١) يوسف : ٤٢

(١٧٨) يوسف : ٨٤

(١٨٠) يوسف : ٤٧

ذكر تعجيل عقوبة الذنوب في الدنيا

النوع الثالث : أن يقرر عدهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائحه . فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ، ويتعاف من عقوبة الله في الدنيا أكثراً لفرط جهوله ، فينبغي أن يحذره به . فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر . كما حكى في قصي داود وسليمان عليهما السلام . حتى أن قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه . وقد تسقط مكرمه من القنوب ويستولى عليه أعداؤه . قال ^(١٨٧) **عنه** : **وإن ألبذ لم يحرم الرزق بالذنب يضيئه** ، وقال ابن مسعود : **إن لأحس أن تعذب يسي نعم بسبب يضيئه وهو معنى قوله عب السلام** ^(١٨٨) : **من قازف دنياً فآزقه عقل لا يعود إليه أبداً** ، وقال بعض السلف : **ليست اللعة مولداً في الوجه ، ونفصاً في المال ، إنما اللعة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه ، وهو كما قل . لأن اللعة هي الطرد والإبعاد . فإذا لم يوفق للخير ، وبغفر له الشر فقد أبعد . والحرام عن رزق التوفيق أعظم حرمان . وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف ، فيحرم العبد به عن رزقه المدفع من مجالسة العلماء المتكبرين للذنوب ، ومن مجالسة الصالحين . بل يمتنع الله تعالى ليمتته الصالحون . وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه ، محترزاً زلقة رجله ، حتى زلقت رجله وسقط . فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويكي ويقول : هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويجانيها ، حتى يقع في ذنب ودين ، فعندما يخوض في الذنوب خوضاً . وهو إشارة إلى أن الذنب تتعجل عقوبته بالاجترار إلى ذنب آخر . ولذلك قال الفضيل : **ما أنكرت من تغير الرمان وجهاء الإخوان ،****

(١٨٧) حديث إن العبد لم يحرم الرزق بالذنب يضيئه . لم يحد وأحكم وصححه إسناده واللفظ له إلا أنه قال الرجل يذنب العبد من حديث توبان .

(١٨٨) حديث من قازف دنياً فآزقه عقل لا يعود إليه أبداً : تقدم

مديونك ورثك ذلك . وقال بعضهم : **إلى آخر عقوبة ذنبي في سوء خلق** . وحكى **وإن آخر أعرف العقوبة حتى لا فر يسي** . وقال بعض صوفية لادم . **نظرت إلى غلام يصور حسن لوح . فوقعت أنصر إليه ، فعزاني ابن** **احلام دمشق ، فأخذ سائر فمستحييت . فقلت يا أبا عبد الله ، سبحان** **الله تعجب من هذه حيرة حسة ، وهذه الصفة للحكمة ، كيف خلقت** **سائر فمير يدي وقد خلقت عقوبة من حين قد وقعت بها بعد** **ثلاثين سنة . وقد يؤميد . حكي** **عقوبة** **وقال : لا يمت** **أحد صلاة جمعة إلا يدب يسه . وقد حكي** **ما أنكرتكم من زمانكم** **فما غيرتكم من أغصانكم** **وقال حكي** **١٨٩** . **خلق الله تعالى إن أدنى ما أصنع** **بالعبد إذا أثر شغبونه على صغتي أن أخوف سيد فاحاني ،**

وحكى عن ابن مسعود : **في قصص دكره قبل فيها كتب** **قائلاً : ذنوبه ، فحمر قسي هوى صوته بفكرتي ، حتى نوبت منه** **شهادة الرجل . فوقع في الأرض ، وسود حسدى كله ، واسترت في** **بيت ، فم أخرج ثلاثة أيام . فركبت أعرج عسبه في حماء مصابون ، فلا** **يردد إلا سود ، حتى انكب بعد ثلاث يميت الحب ، وكان قد وحا إلى** **فأشخصني من رقة فم يتيه قد لي . ما صحيح من الله تعالى . كنت** **فأند بين يديه ، فذرت عشت شهوة حتى استوت عيبت برفة وأخرجت** **من بين يدي الله تعالى ؟ فم لا في دعوت فم ت ، وثبت إليه عك ، لنبقت** **الله بذلك الملون . قد فصحت كيف عك يندك وهو بعدد وأن بالرفقة** **وعلم أنه لا يدب بعد . أ إلا ويسود وجه قلبه . فإن كان مهيئاً أظهر** **السود على ظهره لب حر . وإلا كان شقياً أعجب عنه حتى ينهك ويسترجع**

(١٨٩) حديث ما أنكرت من زمانكم فم أنكرت من أغصانكم : الحديث في الزهد من حديث أبي البرقاء وقال غيره فم بعد به عك . حكي ومن حديث ابن مسعود : **ما أنكرتكم من زمانكم فم أنكرتكم من أغصانكم** . قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بواضحة .

(١٩٠) حديث يقول الله إن قد ما أصنع بالعبد إذا أثر شغبونه على طاعته أن أخوف سيد فاحاني . حكي لم يحد

سر . وأحضر كثيره في آفات تدور في قلب ، من الفقر ، والحرص وعجزه . بل من شؤم تدب في قلب على أحسنه أن يكسب ما بعده صفة . فإن بلى شيء كان عقوبة له ، ويخرجه من لرق ، حتى يصاعف شقوة . وقد أصابه نعمة كانت استمر حاته ، وجره حمل الشكر حتى يعاقب على كثرته . ولم يصح ، فمن بركة طعنه أن يكون كل نعمة في حقه حراء على صاعده ، ويؤثر شكره . وكل منه كدرة لديه ، زيادة في برحاته .

ذكر حدود الذنوب والنفوس في الوجوه

النوع الرابع : ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب ، كالخمر ، والربا ، والسرقه ، والقتل ، والعيه ، والكبر ، والحسد . وكل ذلك مما لا يمكن حصره . وذكره مع غير أهله وضع الدعاء في غير موضعه . بل يسمى أن يكون العالم كالطبيب الخادق ، فيستدل أولاً بالبعض ، والنسخة (١٨٧) ووجوده الحركات ، على السبل الباطنة . ويشغل بعلاجها ، ليستدل بقرائن الأحوال على جماعها الصفات ، وليتعرض لما وقف عليه اقدم رسول الله ﷺ (١٨٧) ، حيث قال له واحد : أوصني يا رسول الله ولا تكفر علي . قال : **لَا لَغَضَبٍ** (١٨٨) وقال له آخر : أوصني يا رسول الله . فقال عليه السلام : **عَلَيْكَ بِالنَّاسِ وَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَلْبَنَى وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْخَاصِرُ وَصَلِّ صَلَاةَ مُؤَذَّعٍ وَإِيَّاكَ وَمَا يُغْتَرَبُ بِهِ** . وقال رجل ل محمد بن واسع : أوصني فقال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . قال وكيف في ذلك ؟ قال الزم البره في الدنيا . فكنه **مُتَّقِي** توسم في السائل الأول غداً الغضب فيها عته . وفي السائل الآخر غداً الطمع في الناس وطول الأمل . وغفل محمد بن واسع في السائل غداً الحرص على

(١٨٦) السجدة هبته والبرهان وهي متعجل وفتح لسكو .

(١٨٧) حديث قال رسول الله ﷺ ولا تكفر علي قال لا يغضب .

(١٨٨) حديث قال له آخر أوصني قال عليه السلام : أوصني .

الدين . وقال رجل لمعاد أوصني فقال : كن حسناً أكرمك به نعمة رعيته . فكنه تفرس فيه آثار انصافه ونعته وقال رجل لإبراهيم بن أدهم : أوصني . فقال : **إِيَّاكَ وَالنَّاسَ** ، **وَسَيِّئَتِ النَّاسِ** ، **وَلَا تَسْأَلْ مِنَ النَّاسِ** ، فإن الناس هم الناس ، وليس كل الناس بالناس . ذهب الدين . وبقي الناس ، وما أراهم بالناس ، بل عموماً إلى ماء يناس . فكنه تدب آفة الخالطة . وأحضر عما كان هو الغالب على حاله في وقته ، وكان الغالب أداه بالناس . والكلام على قدر حال السائل ، أولى من أن يكون بحسب حال القائل ، وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنه أن اكسب لي . أوصني فيه ولا تكثري فكثرت إليه من عائشة إلى معاوية . سلاء عبيد . أما بعد ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول (١٨٩) : **مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَخَطَ اللَّهُ عَنْهُ** . فكأنه الله مؤثته الناس . وفي النص **سَخَطَ اللَّهُ بِرَضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ** . وسلا عليك ، فانظر إلى فقها كيف تعرضت للألف لشي تكون الولا بصدددها ، وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم . وكثرت إليه مرة أخرى أما بعد ، فائق الله ، فإنك إذا اتقيت الله فكأنك الناس ، وإذا اتقت الناس لم يحوا عنك من الله شيئاً والسلام .

فإذا على كل ناصح أن تكون عتاجه مصروفه إلى تفرس الصفات الخفية ، وتوسم الأحوال اللائقة ، ليكون مستعاليه بالمهم . فإن حكاية جميع مواضع الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال برعته بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان .

فإن قلت . فإن كان التواعظ يتكلم في جميع . أو سألته من لا يدري باطن حاله أن يعظه ، فكيف يفعل . وعنه أن طريفه في ذلك أن يعظه بما يشرك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم ، وإما على الأكثر . فإن في علوم

(١٨٩) حديث عائشة من النبي ﷺ رضى الله عنه وكنه الله إلى الناس . الحديث الترمذي والبيهقي . وفي نسخة الترمذي من لم يسلم .

وكتب أيضاً إلى بعض عماله أما بعد ، فقد أمكنك القدرة من ظلم
العباد ، فإذا همت بظلم أحد فادكر قدرة الله عليك وأنعم أن الله عز وجل
أخذ المظالمين من الظالمين والسلا

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ، ووعظ من لا يرى خصوص
واقفته . فهذه للوعظ مثل الأعدية التي يشترك الكفة في الاعتدال بها . ولآخر
فقد مثل هؤلاء الوعاظ انقسم باب الأبدع . وشب الناس ، واستشرى
المسد ، وبنى الخلق بوعده بجرهوب . سعدى ، ويسدون أناء ، ويكفون
ذكر ما ليس في سعة عندهم ، وينسبون إلى غيرهم . فسقط عن قلوب
العامة وفكرهم ، ولم يكر كلامهم صادراً من القلب ليصل إلى القلب .
القاتل متصلف ، واستمع متكلف ، وكل واحد منهما مُدبّر ومتحلف . فإذا
كان طلب الطبيب أو علاج مرضى ، وطلب العلماء أول علاج العاصية .
فهذا أحد أركان العلاج وأصوله



الفصل الثالث

الركن الثاني في العلاج الصبر

الأصل الثاني : الصبر ووجه العلاج به أن المريض إما يطول مرضه لتناوله
من بصره . وإما يتدنس ذلك إما لعفته من مصرفته ، وإما لشده عليه شهوته .
وهناك سببان مما ذكرناه هو علاج الصبر ، فمضى علاج الشهوة وصرف
علاجها قد ذكره في كتاب رياضة الصبر

وخاصة أن المريض إذا اشتدت به دته لمكول مصبر ، فصرفه أن
يشعر عظم صبره ، ثم يحجب ذلك من عيه فلا يحصره ، ثم يتسلى عنه
بشرب منه في صبره ولا يكثر ضرورة . ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي
يسببه في تركه . فلا بد من كل حال من مرارة الصبر . فكذلك يحتاج الشهوة
في المنعوى كالشب مثلاً بعد غسته الشدة ، فصر لا يقدر على حنقه عيه ،
ولا حنقه منه ، أو حنقه جوارحه في سعى وراء شهوة فيسعى أن يشعر
صبره فتيه ، بأن يستقرى الشغوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة
رسوله ﷺ . فإذا اشتد خوفه لم يعد من الأسباب المهيجة لشهوته . وبمهيج
الشهوة من خارج ، هو حضور المشتى بالنظر إليه ، وعلاجه اهرب والعزلة
ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة ، وعلاجه الجوع والصوم النديم . وكل ذلك
لا يتم إلا بصبر ، ولا يصبر إلا عن خوف ، ولا يخاف إلا من عزم ، ولا يعلم
إلا عن بصيرة وتفكير ، أو عن سماع وتقليد . فأول الأمر حضور محاسن
الذكر ، ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل ، مصروف إلى
السماع ، ثم التمعك فيه تمام الفهم وبعث من تمامه لا بحالة حووه وإذا قوى
الخوف تيسر بمعونه الصبر ، وانبعث للنواحي لطلب العلاج ، وتوفيق الله



الفصل الرابع

أسباب الوقوع في الذنوب

أحدها : أن تعذب المرء من بين حصر وانفس حسب ماثره
بالحصر ماثره بالمرء حسب ماثره بالمرء

الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجرة ، وهي في الحال
أحدة بعين وقد قوى ذلك وأبـ عنها سبب لأعياد والإلف ، وعبدة
ضيعة حمسه ، وروى عن محمد بن حنفية (رحمته الله) عن بعض
قربى تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ أَمْنَهُمْ وَتُحِبُّونَ الْآخِرَةَ ﴾^١ وقد عر
وجل ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾^٢ ، وقد عر عن شدة الأمر فـ
رسول الله ﷺ : « حُمِّتِ الْهَيْبَةُ بِالْمُكَارِهِ وَحُمِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »
وقوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ النَّارِ فَقَالَ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ إِلَيْهَا فَذَهَبَ . وَعُرْتُكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا
فَحَقَّقَهَا بِالشَّهَوَاتِ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ . فَقَالَ : وَعُرْتُكَ
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَتَّقِيَ أَحَدٌ إِلَّا دَحْيَاهَا وَخَبَقَ الْحَقُّ الْحَقَّةَ . فَقَالَ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ . فَقَالَ : وَعُرْتُكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا
دَخَلَهَا فَحَقَّقَهَا بِالْمُكَارِهِ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ إِلَيْهَا . فَقَالَ :
وَعُرْتُكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . بِدَأْ كَوْنِ الشَّهَوَاتِ مَرْتَهَنَةً فِي

(١٩٤) القِيَامَةُ : ٢٠

(١٩٥) الْأَعْرَ : ١٦

(١٩٦) حديث جده - عنه - بكارة - حديث جده - عنه - بكارة - حديث جده - عنه - بكارة

(١٩٧) حديث إن الله - عنه - بكارة - حديث جده - عنه - بكارة - حديث جده - عنه - بكارة

وصحبه من حديث أبي هريرة روى عنه ذلك

ونفسه من وراء ذلك . فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء ، واستشعر
الخوف فائق ، وانتظر الثواب ، وصدق بالحسنى ، فسيهره الله تعالى
لليرى . وأما من يخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسيهره الله لليرى ،
فلا يرى عنه ما شغل به من ملاد الدنيا مهاسهت ويردى وما على الأنبياء
إلا شرح طرق الهدى ، وإف الله الآخرة والأولى .

فإن قلت : فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان ، لأن ترك الذنب لا يمكن إلا
بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الحرف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم ،
والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتسديد بعظم ضرر
الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان ، فكان من أصر على الذنب لم
يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن ، فاعلم أن هنا لا يكون لعقد الإيمان ، بل يكون
لضعف الإيمان . إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى ،
وسبب العقاب في الآخرة . ولكن سبب وقوع في الذنب أمور





الفصل الخامس

علاج الأسباب الموجبة للإصرار

الفكر الحقيقي دواء الوقوع في المعاصي

فإن قلت : فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول ، وهو تأخر العقاب ، أن كل ما هو آت آت ، وأن غداً للناظرين قريب ، وأن الموت قرب إلى كل أحد من شركائ نعله ، فما يدريه لعل الساعة قريب . والمتأخر إذ يقع صار عاجزاً . ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لحرق أمر في الاستقبال . إذ يركب البحار ، وينافس الأسفار ، لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال . بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت ، وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه ، مع أن الموت أله لحظة إذا لم يخفف ما بعده ، ومفارقة الدنيا لا بد منها . فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً ، فينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول فمي لم تقم معجزة على طبعه ، فيقول . كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي ، دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبعه ، ولا يشهد له إلا علوم الخلق ؟ وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض ، وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ؟

وبهذا التفكير بعينه يعالج المدة الغالبة عليه . ويكلف نفسه تركها ، ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام المسهر وهي أيام قلائل ، فكيف أقدر على ذلك أهد الآباد ؟ وإذا كنت لا أطيق ثم الصبر ، فكيف أطيق ألم النار ؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتقصصها وامترج صفوها

الحال ، ويكون العقاب متأخر إلى المال ، ميبان ظاهراً في الاسترسال . مع حصول أصل الإيمان . فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه ، مكذباً بأصل الطب ، ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه . ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه عاجز ، فهيون عليه الألم المنتظر .

الثالث . أنه ما من ملذب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة ، وتكفير السيئات بالحسنات . وقد وعد بأن ذلك يجزى . إلا أن طول الأمل غالب على الطباع ، فلا يزال يسوّف التوبة والتكفير . فمن حيث رجاءه التوفيق للتوبة ، ربما يقدم عليه مع الإيمان .

الرابع . أنه ما من مؤمن موقن ، إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العفوية إيماناً لا يمكن العفو عنها . فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالاً على فضلى الله تعالى .

فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب ، مع بقاء أصل الإيمان . نعم قد يقدم الذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه ، وهو كونه شاكاً في صدق الرسل ، وهذا من الكفر . كالذى يحذر الطبيب عن تناول ما يضره في المرض . فإن كان المخبر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب ، فيكديه أو يشك فيه ، فلا يبالى به . فهذا هو الكفر .



بكدرها . فكيف أصبح عن نعيم الآخرة ؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صباح أهل النار من التسويف ، لأن المسوِّف يبنى الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم . فليت شعري هل عجز في الحال إلا لقلة الشهوة ؟ ولشهوة ليست تفارقه غداً بل تضعاف ، إذ تتأكد بالاعتیاد . فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالمادة كالتي لم يؤكددها . وعن هذا هلك المسوِّفون ، لأنهم يظنون الفرق بين المتأملين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً شاق ، وما مثال المسوِّف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فربما قوة لا تنقطع إلا بمشقة شديدة ، فقال : أوخرها سنة ثم أعود إليها ، وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه . فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة ، إذ عجز مع قوته عن مقاومة مصعبه . فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضيف . وأما المعنى الرابع ، وهو انتظار عفو الله تعالى ، فعلاجه ما سبق . وهو كمن يتفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء . منتظراً من فضل الله تعالى أن يزرقه العشر على كثر في أرض غربة . فإن إمكان العشر عن الذنب مثل هذا الإمكان . وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده ، وترك ذخائره أمواله في صحن داره ، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب ، حتى لا يتفرغ إلى داري ، أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار ، فإن الموت ممكن ، والغفلة ممكنة ، وقد حكى في الأسمار أن مثل ذلك وقع : فأننا أنتظر من فضل الله مثله . فنتظر هذا منتظر أمر ممكن ، ولكنه في غاية الحماقة والجهل ، إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر . وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل . وذلك بطول . ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له :

ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن ؟ أو تقول أعلم أنه محال ، كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة ؟ فإن

قال أعلم استحالة كذلك فهو أم لا معنوه ، وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء . وإن قال أنا شك فيه . لو أعيرك شخص واحد مجهول ، عند تركك طعامك في البيت لحظة . ولغت فيه حية ، وألقت سمها فيه ، وجوزت صدقه ، فهل تأكله أو تتركه ؟ وإن كان ألد الأطمعة ؟ فيقول أتركه لا بحالة ، لأن أقول إن كذب فلا عوتني إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديداً فهو قريب ، وإن صدق خفوتني الحياة ، والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإنسانته شديدة . يقال له : يا سبحان الله ، كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم ، مع ما ظهر من المعجزات ، وصدق كافة الأولياء ، والعلماء ، والحكماء ، على جميع أساف العقلاء ، ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب ، عن صدق رجل واحد مجهول ، لعل له غرضاً فيما يقول ! فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر ، وأثبت ثواباً وعقاباً ، وإن اختلفوا في كيفيته ، فإن صدق قد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد . وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهادات هذه الدنيا القانية المكثرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلاً مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد . بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالنفوس ، وفقرنا ظاهراً يلتقط في كل ألف سنة حبة واحدة منها . فليت النفوس ، ولم ينص أبد الآباد شيئاً . فكيف يفتر رأي الغافل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلاً ، لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ! ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التوحي المعري :

قال المنجم والطبيب كلامهما لا تبعت الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فليست بخامر أو صح قولی فاخسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور ، وكان شاكاً : إن صح ما قلت قد تخلصنا جميعاً ، وإلا فقد تخلصت وملكك . أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فإن قلت . هذه الأمور جلية ، ولكنها ليست شال إلا بالتفكير ، فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلته ، وما علاج القلوب لرجعها إلى الفكر ، لا سيما من آمن بأصل

الشرع وتفصيله . فاعلم أن المانع من الفكر أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها ، وشدائدها ، وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم . وهذا فكر للداغ مؤلم للقلب ، فينزع القلب عنه ، ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة .

والثاني : أن الفكر شغل في الحال مانع من اللذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ، ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت . فصار عقله مسخراً لشهوته ، فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة ؟ والفكر يمنعه من ذلك . وأما علاج هذين المانعين ، فهو أن يقول للبيه : ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده ، تألماً بذكره ، مع استحقاق ثم مواقفته . فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع ، وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ، ومتألم به ! .

وأما الثاني : وهو كون الفكر مفوتاً للذات الدنيا ، فهو أن يتحقق أن فوائد لذات الآخرة أشد وأعظم . فليها لا آخرها ، ولا كدورة فيها . ولذات الدنيا سريعة الدثور ، وهي مشوبة بالمكدرات . فما فيها لذة صانية عن كدر . وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى ، واستراحة بمعرفته ، وطاعته ، وطول الأنس به ! ولو لم يكن للطمع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلوة الطاعة ، وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً . فكيف بما يضاف إليه من نعيم الآخرة ! نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ، ولكنها بعدما يصبر عليها مدة مديدة ، وقد صار الخير ديدناً ، كما كان الشر ديدناً ، فالنفس قائلة ما عودتها تعود ، والخير عادة ، والشر لاجبة .

فإذا هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيح لقوة الصبر عن اللذات . ومهيح هذه الأفكار وعظ الوعاظ ، وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر ، فيصير الفكر موافقاً للطبع ، فيميل القلب إليه . ويعبر

عن السبب الذي أوقع الموافقة بين طبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق . إذ التوفيق هو التوفيق بين دة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة . وقد روى في حديث ضعيف أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الكفر على ماذا بُني فقال علي رضي الله عنه : بني على أربع دعائم . على الحياء ، والعسى والعقلاء ، والشك . فمن جفا أحد الحق ، وجير بالباطل ومقت العلماء . ومن عسى نسي الذكر . ومن عقل جاد عن الرشيد . ومن شك غرته الأماني . فأخذته الحسرة والندامة . . . من الله ما لم يكن يحسب .

فما ذكرناه بيان لبعض آفات الفكر عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..



قهرس التوبة

صفحة

الموضوع

٥	كلمة الخقق
٩	دراسة التحقيق :
	[هذا الكتاب - المؤلف - عصره - مؤلفاته - حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدهاً - منهج التحقيق]
٢١	مقدمة المؤلف
٢٣	تمهيد
٢٥	الركن الأول : في نفس التوبة
	[ويتضمن خمسة فصول]
٣٥	الركن الثاني : فيما حصة التوبة (وهي النوب صغارها وكبائرها)
	[ويتضمن أربعة فصول]
	الركن الثالث : في تمام التوبة ، وشروطها ، ودوامها إلى آخر
٩٩	العمر
	[ويتضمن خمسة فصول]
١٣٧	الركن الرابع : في دولة التوبة ، وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار .
	[ويتضمن خمسة فصول]

وبحمد الله الذي نعمت بهم الصالحات

AL-MUS TAFI.COM